





# ملكات

من الدراسات المصرية القديمة

---

بقلم

الدكتور نيا هو رجب

أمين منتدب بالمتحف القبطي

طبع بمطبعة المتحف القبطي

١٩٤٧



هَدِيَّةُ الْمُقْتَطَفِ السَّنَوِيَّةِ

ملحقات

مِنَ الدَّرَاسَاتِ الْمِصْرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ

بقلم

الدكتور نيازهو رجب

أمين منتدب بالمتحف القبطي

طبع بمطبعة المتحف والمكتبة بمصر

١٩٤٧





## مقدمة

أُتيحت لي فرصة البحث في الدراسات المصرية القديمة ، ونشرت عدة بحوث موزعة في سنوات متعددة وفي مجالات متفرقة كالمقتطف ، ومجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، ومجلة القانون والاقتصاد ، ومجلة المهندسين ، ومجلة الكتاب ، والثقافة ، والرسالة ، ومجلة بلادي ، ثم رأيت أن أجمعها مع جزء آخر في هذا الموجز الذي يمينته « لمحات — من الدراسات المصرية القديمة »

وأرجو أن يسد هذا الكتاب فراغاً صغيراً من الفراغ الكبير الذي سبقتنا الى ملئه الأمم الأخرى ، لاسيما وأن مصرنا العزيزة في حاجة الآن الى تربية قومية حقة صمادها دراسة تاريخ مصر القديم ، ومعرفة تاريخ وحدة وادي النيل في عصور مصر الزاهرة والله المستعان يوفقنا الى ما فيه خير البلاد في ظل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فاروق الأول ملك وادي النيل .

ولا يفوتني أن أشكر ادارة المقتطف الغراء لاهتمامها بطبع هذا الكتاب وجعله هدية المقتطف السنوية الى مهتركيها الكرام .

بالحقير البسيط

عين شمس في اول سبتمبر سنة ١٩٤٧



# الفصل الاول

## بحوث تاريخية

- ١ - تطور التاريخ المصري القديم
- ٢ - وحدة وادي النيل
- ٣ - أهم أعلام وحدة وادي النيل
- ١ ، الملك نب حبت رع
- ب ، الملك أمنمحات الأول
- ح ، الملك احمس الأول
- د ، الملك رمسيس الثاني
- ٤ - الحروب بين ملوك الشمال والجنوب
- ٥ - الهيكسوس
- ٦ - الملك اينخ - إن - أتون
- ٧ - منصب الوزير
- ٨ - حاكم السودان العام
- ٩ - كتاب هيرودوت في مصر



# تطور التاريخ المصري

القديم

اعتاد علماء التاريخ المصري القديم أن يقسموه الى عصور رئيسية أطلق على كل منها اسم معين . غير اننا لو تعمقنا في دراسة التاريخ وآثاره نرى أن معظم هذا التقسيم الشائع بتسميته غير مطابق للحقيقة والواقع .

فالعصر الاول : يقصده الفترة التي يرجع تاريخها الى ما قبل الأسرة الاولى وأطلق عليه «عصر ما قبل التاريخ» على أساس أن التاريخ يبدأ عند وجود الكتابة ويعتمد على النقوش المدونة فقط .

على أن هناك بلاداً لم تعرف الكتابة قديماً ، وأخرى عرفت الكتابة ولم نستطع قراءتها ، وبالرغم من هذا فإن لها تاريخاً . فتكون الكتابة وتدوين الحوادث اذن ليست الوسائل الوحيدة للتاريخ . بل هناك وسائل أخرى أساسها علم الانسان وعلم الحيوان ، وعلم طبقات الأرض ، وعلم الآثار وقد أرشدتنا هذه العلوم مجتمعمة الى معرفة تاريخ هذا العصر الطويل الذي يبدأ من حوالي سنة ٨٠٠٠ قبل الميلاد الى سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد ، كما أن هذا العصر أول قسم نبدأ به تاريخنا لذلك كله نطلق عليه اسم «سفر التاريخ» .

العصران الثاني والثالث : يطلق الاول منهما على عصر الأسرة الاولى والثانية ويسمى بالعصر العتيق . والآخر على عصر بناء الاهرام من الأسرة الثالثة الى السادسة ويسمى باسم الدولة القديمة ، فيقتطع أصحاب هذا الرأي الأسرتين الاولى والثانية بدعوى أن المرجع في تحديد ذلك الى بناء الاهرام .

لكننا نرى أن الدولة القديمة تبدأ من الأسرة الاولى وتستمر الى الأسرة الثامنة أي من حوالي سنة ٣٢٠٠ ق . م الى سنة ٢٢٤٥ ق . م . لأن بناء الاهرام يجب ألا يوضع في المكان الاول ويتخذ أساساً لتقسيم دول التاريخ المصري القديم ، لأن التقسيم كان قائماً

# تطور التاريخ المصري

## القديم

اعتاد علماء التاريخ المصري القديم أن يقسموه الى عصور رئيسية أطلق على كل منها اسم معين . غير اننا لو تعمقنا في دراسة التاريخ وآثاره نرى أن معظم هذا التقسيم الهائع بتسميته غير مطابق للحقيقة والواقع .

فالعصر الاول : يقصد به الفترة التي يرجع تاريخها الى ما قبل الأسرة الاولى وأطلق عليه « عصر ما قبل التاريخ » على أساس أن التاريخ يبدأ عند وجود الكتابة ويعتمد على النقوش المدونة فقط .

على أن هناك بلاداً لم تعرف الكتابة قديماً ، وأخرى عرفت الكتابة ولم نستطع قراءتها ، وبالرغم من هذا فان لها تاريخاً . فتكون الكتابة وتدوين الحوادث اذن ليست الوسائل الوحيدة للتاريخ . بل هناك وسائل أخرى أساسها علم الانسان وعلم الحيوان ، وعلم طبقات الأرض ، وعلم الآثار وقد أرهدتنا هذه العلوم مجتمعة الى معرفة تاريخ هذا العصر الطويل القدي يبدأ من حوالي سنة ٨٠٠٠ قبل الميلاد الى سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد ، كما أن هذا العصر أول قسم نبدأ به تاريخنا لذلك كله نطلق عليه اسم « فجر التاريخ » .

العصران الثاني والثالث : يطلق الأول منهما على عصر الأسرة الاولى والثانية ويسمى بالعصر العتيق . والآخر على عصر بناء الاهرام من الأسرة الثالثة الى السادسة ويسمى باسم الدولة القديمة ، فيقتطع أصحاب هذا الرأي الاسرتين الاولى والثانية بدعوى أن المرجع في تحديد ذلك الى بناء الاهرام .

لكننا نرى أن الدولة القديمة تبدأ من الأسرة الاولى وتستمر الى الأسرة الثامنة أي من حوالي سنة ٣٢٠٠ ق . م الى سنة ٢٢٤٥ ق . م . لأن بناء الاهرام يجب ألا يوضع في المكان الاول ويتخذ أساساً لتقسيم دول التاريخ المصري القديم ، لأن التقسيم كان قائماً

على التوحيد السياسي للبلاد تحت رعاية ملك واحد ، بعد أن كانت عبارة عن ولايات مفككة<sup>(١)</sup> والذي كان من نتائجه أن أصبحت البلاد جميعها ملتفة حول العرش رمز البلاد . ولقد تمت وحدة مصر الأولى على يد الملك مينا ( نعرمر ) أول ملوك الأسرة الأولى حوالي سنة ٣٣٠٠ ق . م . ونطلق عليه اسم « عصر الوحدة الأولى » .

العصر الرابع : وهو العصر المتوسط الأول ويشمل الأزمات السابعة الى العاشرة في نظر المؤرخين ولكننا ذكرنا أن عصر الوحدة الأولى ينتهي بالأسرة الثامنة . وبذلك يمكننا أن نطلق على المدة من الأسرة التاسعة الى منتصف الحادية عشرة اسم « عصر تفكك الوحدة الأولى » وذلك لأن التوحيد السياسي قد تفككت أوصاله في هذه الفترة من ٢٢٤٥ ق . م . الى ٢٠٧٠ ق . م .

العصر الخامس : يطلق عليه المؤرخون عصر الدولة الوسطى ويشمل من أول الأسرة الحادية عشرة الى آخر الأسرة الثانية عشرة ، ونرى هنا ان الوحدة السياسية قد عادت الى البلاد على يد الملك « نب-حبت - رع » منتوحبب الثاني حوالي سنة ٢٠٧٠ ق . م . أي من منتصف الأسرة الحادية عشرة ، واستمرت حتى منتصف الأسرة الثالثة عشرة (حوالي سنة ١٧٥٧ ق . م ) ونسميه « عصر الوحدة الثانية »

العصر السادس : ويطلق عليه العصر المتوسط الثاني ويشمل من الأسرة الثالثة عشرة الى آخر الأسرة السابعة عشرة . ونحن هنا نسميه عصر تفكك الوحدة الثانية من منتصف الأسرة الثالثة عشرة الى الأسرة الخامسة عشرة أي من سنة ١٧٥٧ ق . م الى سنة ١٧٣٠ ق . م . وعصر حكم الغزاة الهيكسوس من حوالي سنة ١٧٣٠ ق . م الى سنة ١٥٨٠ ق . م . ويشمل من الأسرة الخامسة عشرة الى الأسرة السابعة عشرة .

العصر السابع : عصر الدولة الحديثة ويبدأ من الأسرة الثامنة عشرة الى أواخر الأسرة العشرين . ونحن نسميه « عصر الوحدة الثالثة » من حوالي سنة ١٥٨٠ ق . م الى حوالي

(١) هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن التحديد الذي اتخذ المؤرخون - وهو بناء الاهرام - لا يؤيد فيما ذهبوا اليه من أن الدولة القديمة تنتهي بالأسرة السادسة فسرى فيما بعد أن الملك امنمحات على سبيل المثال وغيره من بعده قد أقاموا اهرام مختلفة .

سنة ١٠٨٥ ق.م. (أي أنه بدأ على يد بطل حرب الاستقلال الملك أحمس الأول واستمر حتى عهد رمسيس التاسع .

وأهم ما لوحظ من مزايا عصور الوحدة القومية بجانب الازدهار في السياسة والحضارة ووحدة وادي النيل أن ملوك تلك العصور وجهوا نظرهم الى سياسة خارجية خاصة نستطيع أن نقول إنها أصبحت سياسة تقليدية لكل ملك فوي يعتلي عرش مصر الموحدة ، أخذها الخلف عن السلف لدرء الخطر عن أجزاء المملكة المصرية الموحدة تحت عرش ملك واحد (العصر الثامن): ويبدأ من الأسرة الحادية والعشرين الى أواخر الأسرة الخامسة والعشرين أي من حوالي سنة ١٠٨٥ الى سنة ٦٦٣ قبل الميلاد ويطلق عليه عصر اضمحلال الامبراطورية ونحن هنا نسميه عصر تفكك الوحدة الثالثة .

وقد أطلقنا عليه هذه التسمية لأنه قبل وفاة آخر ملك من ملوك الرعامسة حوالي سنة ١٠٨٥ قبل الميلاد ضعفت سلطة الملك وقوي نفوذ كهنة آمون وخملت الروح الحربية بين المصريين . وقد أدت هذه العوامل التي ظهرت عند نهاية عصر الوحدة الثالثة إلى انقسام مصر إلى دولتين : احدها جنوبية عاصمتها مدينة طيبة ويحكمها الملك حريحور ، وأخرى شمالية عاصمتها مدينة تانيس ويحكمها الملك نيسوباندد Nesubanebdeed<sup>(١)</sup> المعروف باسم ممنديس .

وقد اضطر الملوك في هذا العصر إلى استخدام الجنود المرتزقة من الليبيين وغيرهم مما دعا إلى اسناد أكبر الوظائف الحربية الى الليبيين ، وقد ساعدتهم هذا الى اعتلاء عرش مصر وتأسيس ما هو معروف في التاريخ بالأسرة الثامنة والعشرين .

وكانت الممالك المجاورة لمصر آخذة في النهوض في تلك الآونة أي في عصر الأسرتين الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين فانهزت فرصة التفكك والضعف في مصر وغارت عليها

---

(١) يظن كثير من العلماء أن Nesubanebdeed كان حاكماً أو أميراً لمنطقة تانيس والواقع أنه كان رئيس كهنة آمون وإن حريحور كان رئيساً لكهنة آمون وقد ظن عنه Kees بأنه كان قائداً للجيش المصري ولكننا نرى ان حريحور جمع بين رئاسة الجيش ورئاسة كهنة آمون قبل توليه الحكم



من كل صوب ولم يقو ملوك مصر الضعفاء على حماية البلاد وضاعت أملاكها الاسيوية وفصلت النوبة عن مصر .

سعى ملوك النوبة <sup>(١)</sup> المتصيرين بمساعدة كهنة آمون على ضم مصر بقسميها ونجح الملك بعنخي في تأسيس أسرة نوبية في مصر وهي الأسرة الخامسة والعشرين غير أن سلطتهم كانت ضعيفة في الدلتا لأن عدداً من الأمراء المحليين الأقوياء كان ينازعهم السلطة. وفي ذلك الوقت كانت دولة الآشوريين قد اتسعت في آسيا حتى بلغت حدودها فلسطين مما سهّل لهم التغلب على الدلتا حوالي سنة ٦٧٠ قبل الميلاد . ولكن الملوك النوبيين ظلوا في حرب معهم نحو عشر سنوات وأخيراً استطاع ملك الآشوريين المدعو آشوربانيبال طرد النوبيين فصار مصر تحت حكمه مدة عشر سنوات وبقيت بها حامية منهم وعين حكاماً مصريين على الأقاليم المختلفة .

(العصر التاسع) : ويطلق عليه العصر العساوي أو عصر النهضة المصرية وعصر الأسرة السادسة والعشرين . أما نحن فنسميه هنا بعصر وحدة مصر الرابعة وذلك لأن إسماتيك كان في أول الأمر أميراً على سايس ( صا الحجر ) من قبل الآشوريين إلا أنه عمل على التخلص من حكم الآشوريين فاستمال باقي الأمراء إليه وجلب الكثير من الجنود المرتزقة من الأغريق وقبيل المساعدة التي قدمها له ملك ليديا الذي كان يريد هو أيضاً التخلص من سيادة الآشوريين فتمكن إسماتيك حوالي سنة ٦٦٣ قبل الميلاد من طرد الحامية الآشورية ثم إخضاع الأمراء الآخرين مستعيناً ببعضهم على البعض الآخر حتى استقل بعصر وأعاد إلى مصر وحدتها الرابعة واعتلى عرش مصر باسم الملك إسماتيك الأول وخلفه ابنه نخاو ونهج نهجه وحاد إلى مصر مجدداً ثم تولى الحكم بعدها الملك أحس الثاني . وفي عهد إسماتيك الثالث آخر ملوك هذه الوحدة أي حوالي سنة ٥٢٥ قبل الميلاد تغلب قبيلز ملك الفرس على مصر .

(العصر العاشر) : ويطلق عليه عصر استيلاء الفرس على مصر أو عصر الأسرة السابعة

(١) تعمّرت النوبة تماماً قبل انفصالها وعبد أهلها الآلهة المصرية لاسيما الإله آمون مما زاد فيها من نفوذ كهنته وكانت حاضرة ملوك النوبة المتعمرين بلدة باتا .

والعشرين ؛ ونحن نسميه بعصر تفكك الوحدة الرابعة أي من حوالي سنة ٥٢٥ الى سنة ٤٠٥ ق. م .

ولقد حكم مصر في هذا العصر بعد قميز الملك دارا الاول وأراد أن يصلح ما أفسده صلته من هدم المعابد المصرية الى قتل المعبود المصري العجل إيبس فأبدى احتراماً كبيراً للمعبودات المصرية وشيد معبداً لآمون بواحة سيوه وبالرغم من تحجب الفرس الى المصريين تمكن المصريون من طرد الفرس وأسس الفراعنة<sup>(١)</sup> الأسرة الثامنة والعشرين سنة ٤٠٥ ق. م . (العصر الحادي عشر) : عصر وحدة مصر الخامسة ويشمل حكم ملوك الأسرة الثامنة والعشرين ثم حكم مصر ملوك الاسرتين التاسعة والعشرين والثلاثين ولكنهم لم يستطيعوا الاحتفاظ باستقلالهم طويلاً إذ تمكن الفرس من استعادة غزو مصر في عهد الملك نخنبو الثاني حوالي سنة ٣٤٢ قبل الميلاد وبقيت مصر تحت حكمهم الى سنة ٣٣٢ ق . ب أي الى أن انتزعها الاغريق على يد الاله كندر الأكبر .

(العصر الثاني عشر) : للعصر اليوناني الروماني من سنة ٣٣٢ قبل الميلاد الى سنة ٦٤٠ ميلادية ونحن نطلق عليه اسم العصر القبطي المصري .  
(العصر الثالث عشر) : من سنة ٦٤٠ ميلادية ونحن نطلق عليه العصر القبطي العربي .

.....  
(١) ورد اسم اول فرعون لهذه الأسرة في نص ديموتيقي « آمون مور » بينما في نصوص المؤرخ مافيتون Amyratos

## وحدة وادي النيل في التاريخ القديم

كان وادي النيل منذ فجر التاريخ أي حوالي خمسة آلاف سنة قبل الميلاد من البحر المتوسط شمالاً إلى حدود الحبشة جنوباً ، الذي يضم الوجهين البحري والقبلي ومعظم السودان الحالي — مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً — وكانت العلاقات بين شعوبه قائمة . ولقد تطورت هذه العلاقات بطبيعة الحال تطوراً تدريجياً حتى وصلت ذروة الرابطة الوثقى .

فإن اهتمام الفراعنة كان قوياً لاسمى إلى توحيد أجزاء وادي النيل ويرجع هذا إلى سببين أساسيين :

أولها العلاقة الطبيعية والحيوية ، وثانيهما العلاقة القومية والسياسية .

وكان الدافع إلى هذا الاهتمام بوحدة وادي النيل جريان نهر واحد في وادٍ واحد، ووطن واحد . وبالتالي ضرورة تبادل المعرفة والمنفعة بين سكان هذا الوادي وسائر أنحاء أطرافه المتدانية والمتباعدة ليكون التعاون بينهم سهلاً ميسوراً حول عرش ملك واحد وحكومة واحدة .

فإن المشروعات المائية والتبادل الاقتصادي لابد المحافظة عليهما أن يكونا تحت سلطة مركزية واحدة، لاسيما وأنه لا توجد حواجز أو حدود طبيعية بين أجزاء هذا الوادي . وكان من نتائج الاهتمام بالوحدة ، أن التحم الملك مينا الذي يلقب بنمرصر حوالي سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد مع خصمه حاكم الوجه البحري في مكان مصر القديمة الحالية وأراق ما أراق من دماء في ميدان الحرب لالغزو والفتح ليعالج مصر العام حتى وفق أخيراً اضم الوجهين البحري والقبلي .

منذ ذلك التاريخ ، تاريخ ، اتحاد الوجهين ، شعر الجزء المتحد من الوادي بقيمة الاتحاد والاتفاق حول عرش ملك واحد ، وتذوق الشعب ثمار هذا الاتحاد ونعيم هذا الاتفاق .

وهنا لأول مرة في التاريخ القديم ابتداء تعاون الشعب والحكومة على وجوب ضم شمل شتات باقي أجزاء الوادي أي السودان تحت لواء ملك الوادي ملك مصر وكان من الطبيعي ان الوادي الذي يجري فيه نهر واحد ، والذي تقوم أجزاؤه على أسس واحدة ، يجب أن يكون ملتفًا حول عرش ملك واحد، وحكومة واحدة ونظام واحد، لضمان تبادل المنفعة العامة والمصالح المشتركة بين جميع الناس سواء بسواء، ولإقامة الحق والعدل بين الجميع ، والدفاع عن أرض الوطن من اعتداء البلاد المجاورة .

وكانت حالة مصر المتحدة قد بلغت من الحضارة شأواً فاقت به وقتئذ كل بلاد العالم . فهي أول بلد صاد فيه نظام الملكية في حكومة مركزية تهدف إلى إدارة المصلحة المشتركة بين سكان وادي النيل .

وكان لهذه الحضارة أثر ظاهر في مختلف نواحي العلوم والهندسة والفنون والآداب والسياسة والقانون مما جعل مصر الفرعونية مصدر الحضارات القديمة ومهد العلوم والمعارف في العالم القديم .

إذ أن الملك مينا هو أول من أنشأ وظيفة الوزير في العالم القديم وكانت مهمته القيام بالأعمال الإدارية والتفرغ لما فيه استتباب الأمن ومن القوانين وشق الترع وإقامة الجسور وغيرها من المصالح التي تهتم الشعب المصري السوداني .

ولهذا ارتضى أهل الشمال والجنوب على وحدة وادي النيل تحت تاج الملك مينا فجمع النيل السعيد بذلك شعوب الوادي قاصيها ودانيها حول عرش مصر ، وساهم كل فرد بتجهيزه في ترقية بلاده واسعادها فيما خصص له .

وكان من نتيجة هذه الوحدة أن أخذ النظام القضائي شكلاً رسمياً فدونت القوانين ونظمت المحاكم بعد أن أخذت اللغة المصرية والكتابة بها شكلاً ثابتاً لم تحد عنه طول حكم الفراعنة .

ومن الطريف أن نظام التسجيل المعروف لدينا الآن كان متبعاً في ذلك الوقت وكانت الملكية لا تنتقل إلا بالتسجيل ، كما روعي في الوصية أن تكتب على يد اخصائي بحضور شهود — وكان يكتب الموصى أنه حائز على جميع قواه العقلية والجسدية ، وكذلك عرف في ذلك العصر نظام الضرائب على الاملاك : المنقول منها والثابت .

نهضت مصر حينذاك نهضة علمية تدعو إلى الإعجاب فقد عرف التخصص في المهن فكان  
هناك طبيب للعمون وطبيب للأسنان ومهندس رى وهكذا.

ويرجع الى عصر وحدة وادي النيل الأولى تقدم حساب الدورة الشمسية وتقسيم السنة الى اثني عشر شهراً ، وتقسيم النهار والليل الى ساعات ، وكذلك عرف هذا العصر بتقدم فنون المعمار والنحت .

وكان مصريو ذلك العصر أول من نفخ في البوق في النداءات العسكرية ، وأول من دق على الطبل لتنظيم السير في المناورات الحربية بخطوات عسكرية واحدة ، وأول من ابتدأ السير في الاستعراضات العسكرية بالساق اليسرى على خلاف ما تعتقد الأمم الحديثة الآن بأنها هي التي ابتكرت هذا النظام .

وكأن النيل قد شعر بحاجيات سكانه فزادهم ربطاً أوفر، وتكاثف سكان الوادي في تقوية  
الروابط بينهم وازدياد النفع المتبادل، فوجهوا همهم للنيل فسكنوا واديه الخصيب وأخذوا  
يراقبون مواعيد فيضانه فررعوا وحصدوا ورمموا الأعمال الهندسية فأقاموا الجسور وبنوا  
الخزانات وحفروا الترع، فسهل لهم السفر في قوارب وسفن لتبادل المعرفة ومبادلة التجارة  
والمصالح. ولا سيما أن اختلاف أنواع المحاصيل المصرية والسودانية طبقاً لاختلاف الحرارة  
في البلدين ساعد على مبادلة التجارة وتقديمها.

وكفّل النيل بذلك لهذا الوادي وسكانه كل أسباب قيام الحضارة واستقرارها فيه وفي قيام الصناعات التي ترتبت على وجود الزراعة كالنسيج وغيره .

هذه أمثلة قليلة لمزايا عصر وحدة وادي النيل الأولى يظهر فيها بعض ما وصل إليه المصريون في نواحي النشاط المختلفة من نتائج رائعة كانت ثمرة اتحادهم والتفافهم حول عرش ملك واحد وتمسكهم به في ولاء ووفاء .

والذي يقدر ما للنيل من مآثر غراء على مصر والسودان وسائر بلدان واديه من أهمية حيوية، لا تكبر عليه مغالاة قدماء المصريين في اسمه ومما مقدساً، ورفعته الى مرتبة الآلهة وإطلاقهم عليه الاسم المسجل تسجيلاً خالداً «حاعي» إذ أنه صاحب الفضل الأول في حفظ حياتهم وهذا ما أوحى الى هيئاته الجغرافي اليوناني كلمته المشهورة «مصر هبة النيل» فنقلها عنه المؤرخ هيرودوث وقد صدق في ذلك لأن كيانه مصر الاقتصادي قائم على أساس الري والزراعة، فمن طميه الذي يجلب من الحبشة طاماً بعد عام تكونت تربة الوادي الخصيبة السوداء وقد كان المصريون القدماء يطلقون على مصر اسم كمت أي الأرض السوداء وبقيت في اللغة القبطية Xhmi أي مصر.

وينبع النيل من الجنوب ويتجه شمالاً على عكس نهر الفرات الذي ينبع من الشمال ويتجه جنوباً ولذلك سماه قدماء المصريين النهر المعكوس، بالنسبة لنيلهم. وهذا يدل على ما كان للنيل من أثر في تفكير قدماء المصريين.

واحتفلوا بعبادة النيل وأقاموا له الأعياد السنوية ولا يزال المصريون يحتفلون بفيضانه الى اليوم وظلّ لما أنعم عليهم من خصوبة ونماء.

وقد تامت أخبار ما عم مصر والسودان من اصلاح في ذلك العصر الى الأقاليم المجاورة للوادي، فرحبت ليبيا بفكرة الانضمام تحت لواء ملك وادي النيل وتمّ لمصر ذلك بعد حرب لم يطل أمدها.

فعلمت مصر العالم القديم قواعد الحضارة وأصولها ونشرت نور مدينتها على جاراتها مختلفة في ذلك شدة أو ضعفاً بحسب ما هيأت لها الظروف ذلك.

ترجمت مصر بذلك أقطار الشرق في تاريخها القديم واشتركت في تقديم التفكير البشري كما تزعّم هي الآن أمّ الشرق في التاريخ الحديث.

وظلت مصر والسودان محتفظين بوحدةهما زمنياً طويلاً وأخذت العلاقات تقوى وتزداد بين القطرين الحقيقيين حتى حوالي سنة ٢٨٠٠ قبل الميلاد حين راجت سوق التجارة بين شمال الوادي وجنوبه عن طريق القوافل.

وكانت تلك القوافل تختلف تمام الاختلاف مما تصوره الآن عند ذكر اسمها من صف

الجمال الذي يخترق الصحراء ، إلى صف من الحجر يحمل كل منها العاج والذهب الأبنومي من السودان، كما كانت تستعمل أيضاً في نقل المحاصيل الزراعية من مصر إلى السودان . وكانت تستعمل السفن أيضاً لنقل البضائع وغيرها بين القطرين بالنيل . إلا أن هذا الطريق المائي بين مصر والسودان كان ضيقاً وعرّاً — وقد حدث أهمية هذا الطريق الحيوي بالكثير من ملوك مصر الاقدمين للاهتمام بدراسته ، وكان أول ما ظهر من هذا الاهتمام أن رأى الملك مري — أن — رع حوالي سنة ٢٥٧٠ قبل الميلاد تكليف أحد كبار موظفيه المختصين المدعو « اوى » حفر خمس قنوات عند مناطق الشلالات لتسهيل سير السفن بين مصر والسودان .

والظاهر أن حفر هذه القنوات كان جزءاً من سياسة عامة تنطوي على ترقية الملاحة وعلى كشف كل الجهات الجنوبية من الوادي كنهفاً منظماً للتعرف عليها ولمعرفة السودان كامل المعرفة بأرضه وأهله وموارده ، وتحسين طرق التجارة والعمل على انماؤها بين مصر والسودان ، فلمسكوا بذلك زمام البر والبحر ، وكان هذا النشاط تعهداً مستمراً للمصلحة العامة المشتركة بين القطرين الشقيقين، لأن مصر والسودان مرتبطان بروابط طبيعية وقومية كما ذكرنا . ولقد كان توحيد شمال الوادي وجنوبه سبباً في تسهيل رحلات نهريه استكشافية كقيام أحد أمراء أسوان المدعو Hw - f - Hor بأربع رحلات إلى السودان في عهد الملك مري — أن — رع حوالي سنة ٢٥٧٠ قبل الميلاد .

\*\*\*

ويعتبر Hw - f - Hor هذا في نظر التاريخ المكشف الاول لجاهل الاصقاع الواقعة في وسط أفريقيا . فكان للسودان أثره العظيم في تسهيل هذا الكشف إذ أنه كان بقعة مصرية آمنة مطمئنة .

وظلت مصر محتفظة بوحدتها وبالتالي ظلت وحدة وادي النيل قائمة ، وقد أدى الاتحاد إلى كثير من الخير ، فركزت جهود بني الوطن مجتمعين إلى سعادته ورفاهيته ، وعم الرخاء الزراعي والاقتصادي بلاد وادي النيل زمناً طويلاً إلى أن انقسمت مصر فترة وجيزة

بسبب المنازعات الداخلية حتى جاء الملك نب - حبت - رع الذي يلقب بمنتوحتب الثاني في الأسرة المصطلح عليها بأنها الأسرة الحادية عشرة فأعاد الى مصر الفرعونية وحدتها للمرة الثانية حوالي سنة ٢٠٧٠ قبل الميلاد وكان هذا العصر استمراراً في تقدم الحضارة والمدنية والعلوم، واطراداً في تطور ما وصلوا اليه في عصر الوحدة الأولى .

واقتنع الشعب المصري مرة أخرى بأن رفاهيته وعظمته في الاتحاد وفي الالتفاف حول العرش .

ونجح الملك نب - حبت - رع في ضم أجزاء الوادي فوفق ملك مصر لضم السودان ثانية كما سجل ذلك وزير مالية هذا الملك المدعو خيتي على جرانيت أمهوان وأصبحت هذه الفكرة الوطنية فكرة وحدة وادي النيل تحت تاج ملك مصر برنابجا وطنياً لكل ملك يعتلي عرش مصر .

واستمرت وحدة وادي النيل الثانية مدة من الزمن فأعيد ما بين طرفي الوادي من ود وشفاء ولكنه في العام التاسع والعشرين من حكم الملك امنمحات الأول أول ملوك الأسرة المصطلح عليها بالأسرة الثانية عشرة حوالي سنة ١٩٧١ قبل الميلاد بدأ اضطراب على الحدود الجنوبية فأرسل الملك امنمحات ولي عهده الشاب وشريكه في الحكم المدعو سنوسرت الى السودان فنجح في تهدئة الحالة .

وعندما تولى سنوسرت بدوره حكم وادي النيل تولى قيادة إحدى الحملات التأديبية بنفسه الى السودان لتأمين حدود الوادي الجنوبية ضد المغيرين فنجح . وهكذا تجشم من الصعاب ما ذلها اعتقاده بأن سلامة الوطن لا تقوم الاّ بوحدة واديه .

ثم التفت الملك المصري الى أهمية السودان من الناحية الحيوية لمصر فرأى من خير الوسائل لتحقيق أمنيته تعيين «حبيجا في» حاكم أسبوط المصري الجنسية حاكماً تاماً للسودان محققاً بذلك اهتمامه بأدارة شؤون السودان ومؤكداً بأن نفع السودان وخيره يرتكزان على الانضمام والاتصال لا البعد والانفصال .

وبلغ من إعزاز هذا الحاكم للسودان أنه بالرغم من وجود مقبرة له في أسبوط إلاّ أنه أتر أن يدفن في مقر عمله ببلدة «كرما» الواقعة بالقرب من الدلال الرابع مما يدل على أن



مصر والسودان كانت وطناً واحداً في نظره .  
وبعدئذٍ أجرى هذا الملك سنوسرت تعديلاً في سائر الشؤون الكفيلة لنفع القطرين  
فعدل النظام الاداري في مصر بتعيين وزير ثانٍ الى جانب الوزير الأول يختص أحدهما بشؤون  
الوجه البحري ويختص الثاني بشؤون الوجه القبلي .

وفي عهد الملك سنوسرت الثالث حوالي سنة ١٨٨٧ الى سنة ١٨٥٠ قبل الميلاد حفر  
قناة في النيل في مناطق الشلال الجرانيتية بعد أن تهدمت مع مرور الزمن القناة التي حفرها  
أونى الذي سبق ذكره في عهد الملك مري - أن - رع ، فضمن سنوسرت الثالث بتجديده  
القناة استقرار الصلة بين مصر والسودان ، ومميت هذه القناة بطريق سنوسرت الجميل —  
وقد ظلت هذه القناة مستعملة إلى عهد الملك تحتمس الثالث أحد ملوك عصر الوحدة  
الثالثة تقريباً .

وريادة في تأمين حدود السودان أقام هذا الملك سنوسرت الثالث — حصنين متقابلين  
أحدهما في ممته ( جنوبي وادي حلفا أي بين الشلالين الثاني والثالث ) والآخر في قه لسي  
يضمن بذلك سلامة البلاد واستتباب الأمن ، ولا تزال آثارهما باقية لتتحدث عن الدقة في  
اختيار مراكز التحصين بما ينم عن روح هندسية بارعة .

ثم أقام عدة قلاع لصيد غارات النافرين ولا يمكن مراقبة جميع الطرق الموصلة الى وادي  
النيل وللدود عن كيان الوادي وحفظ سلامته .

وهذه القلاع كانت تكون سلسلة من أربع عشرة بلدة محصنة تمتد من هاتين القلعتين  
جنوب الشلال الثاني وتمتد شمالاً الى اسوان — وبديهي أن يكون لهذا النجاح العسكري  
مقابل من الرخاء المادي كما تشهد بذلك بعض النقوش المصرية .

وتحسن الاشارة هنا الى أن أقدم اتصال مائي بين البحر المتوسط والبحر الأحمر منذ  
عهد هذا الملك ، كان يجري لمسافة معينة متبعاً نفس الطريق التي تجري فيها قناة السويس  
الحالية ، وفي هذا ما فيه من مصلحة ومنفعة للسودان .

وقد اقتضى تبادل المنفعة بين مصر والسودان ان يضع الملك أمنجات الثالث حوالي  
سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد مقاييس للنيل في بلدة ممته السابقة الذكر لتعرف بها على أحوال النيل

من حيث ارتفاع مياهه أو انخفاضها . وفي الحق ان مسألة النيل ومياهه من أهم مقومات وحدة وادي النيل التي لا غنى للسودانيين والمصريين عنها .  
وجعل من هذه المقاييس فضلاً عن فائدتها لاري معياراً لرشاء ذوي الأراضي الزراعية وأساساً للنظام المالي تجبي بمقتضاه الضرائب .

\*\*\*

ولست أريد أن أطيل في ذكر أعمال كل ملك من ملوك عصر الوحدة الثانية خاصة وأنى أوردت أمثلة عدة تبين مختلف وجوه النشاط المصري في السودان، فمن مشروعات مائة إلى عمرانية إلى حربية .

وغني عن البيان ان المصريين كانوا يبذلون كل ما في وسعهم من جهد لاسعاد السودانيين وتوفير كل خير لهم فسمحوا لآخوانهم السودانيين بالانصواء تحت راية جيش ملك مصر، ومنهم من كان ينتخب ضمن رجال الشرطة أيضاً . وقد استمر الحال على هذا المنوال طوال العهد الفرعوني . وما زالت الشواهد تظهر في كل عصر ودور لمن يعن النظر حتى الآن . إذ نرى في وقتنا الحاضر بوليساً من السودانيين يسمى « بوليس المهجانة » ومركزهم الرئيسي بلدة عين شمس الأثرية ، فنرى أن التساريخ يعيد نفسه ويدل على أن السودان ومصر جزء لا يتجزأ .

واستمرت هذه العلاقات الطيبة في تاريخ البلدين ترداد وتقوى حتى نهاية عصر وحدة مصر الثانية أي حوالي سنة ١٧٥٠ قبل الميلاد

وظلت مصر محتفظة بعظمتها طوال أيام مجدها حتى شعر رجال الجيش وحكام الأقاليم بقوتهم فأخذوا يبتعدون عن العرش ويحاول كل منهم الانفراد بالسلطة والجاه ، وبدأ التشاحن والتنازع بينهم وقد أدى ذلك الى ضعف مصر فداهاها العدو المعروف في التاريخ باسم الهيكسوس واستولى على جزء كبير منها كان ذلك حوالي عام ١٧٣٠ قبل الميلاد وظل الأجنبي يستعمر مصر حوالي قرن ونصف قرن إلى أن شعر المصريون بخطائهم وعرفوا أن التناحر على الحكم والانقسام وعدم الالتفاف حول العرش كان سبب نكبتهم وتفكك وحدتهم واحتلال بلادهم فقاموا ذومة رجل واحد ملتفين حول الملك الحس الأول ( بعد حرب

الاستقلال في دورها الأخير) فتمكنوا من طرد المستعمرين الأجانب حوالي سنة ١٥٨٠ قبل الميلاد من أرض الوطن .

وعادت مصر للمرة الثالثة إلى مجدها القديم بفضل وحدتها والتفافها حول مليكها . وبعد أن انقضت غمة الاستعمار بطرد المحتلين وبعد وحدة مصر والتفاف شعبها حول ملك مصر نجد أن العلاقات بين مصر والسودان يتصل حبلاها من جديد في صورة راتمة ، وكانت هذه الوحدة هي العملة الوقادة التي تضيء للوادي سبل الحياة والحضارة

ونجد أن منصب حاكم السودان العام يعاد ويضاف لشاغله لقب الابن الملكي للسودان وليست كلمة ابن هنا معناها أن يكون الحاكم حقا من أبناء البيت المالك ولكن هذا اللقب في الواقع معناه أن حاكم السودان مقرب من الملك وله شرف الاتصال بمليك الوادي وفي هذا اللقب اشارة جليلة وعلوية الى اظهار عدم تفريق ملك الوادي بين مصر والسودان من جهة الحكم والادارة كما ان فيه أيضا شعورا ساميا لأهل السودان بأن ملك مصر قد أرسل لهم من هو في حكم ابنه ليدير دفة شؤون البلاد الحقيقية .

ومن طريف ما يحدثنا به التاريخ القديم في هذا الصدد أنه عندما تولى الملك تحتمس الأول عرش الوادي حوالي سنة ١٥٣٧ قبل الميلاد أرادت الحكومة المصرية ارسال نبأ تولية الملك الجديد على عرش الوادي فكتبت ما معناه :

« أمر ملكي إلى حاكم السودان العام المدعو تورى لكي تعلم ان جلالة الملك تحتمس أصبح ملك الشمال والجنوب ولكي تنشر ألقابه ولكي تعلن بأن حلف اليمين أصبح باسم الملك تحتمس . . . »

وكان من اختصاص حاكم السودان العام تعريف الشؤون الادارية والاشراف على المسائل القضائية والمالية .

ويحدثنا التاريخ أن كل حاكم عام للسودان كان بإدارته الخازمة يعمل على رخاء البلاد الحقيقية ونشر الأمن فيها .

وكان مركز حاكم السودان العام أحد المناصب الكبيرة في تاريخ مصر الفرعونية وله من المسؤوليات ما لا يقل عن منصب الوزير نفسه . فكما كان للملك حق تعيين الوزير فإن له

الحق أيضاً في عزله ، وكما كان لملك مصر وحده حق تعيين حاكم السودان العام كان له وحده حق عزله .

وكان وجود منصب حاكم السودان العام على هذه الصورة وبهذا التقب أقوى برهان على اعتبار السودان جزءاً من مصر وعلى اعتبار السودان أرضاً مصرية .

ولقد استمر الصفاء ناشراً أجنحته على وادي النيل مصره وسودانه وزادت الروابط الثقافية بين البلدين فألشأ ملوك مصر بلاداً مصرية في السودان وأقاموا فيها المعابد المصرية لتوحيد اللغة والعبادة بين أطراف الوادي فعلى سبيل المثال أقام الملك تحتمس الثالث معبداً على نسق معبد الكرنك لعبادة الآله آمون في بلدة نباتا بالقرب من الشلال الرابع .

كذلك نعلم أن المصريين قد أعسوا مصانع ومناجر في مختلف أنحاء السودان لكي يسعد أهل السودان من جراء تعليم الحرف والصناعات فيمكن للسودان بذلك أن يجاري مصر في نهضةها الصناعية وفي رقيها التجاري والاقتصادي .

وكانت مظاهر الوادي كله مصبوغة بصبغة واحدة هي الصبغة المصرية فوجد على سبيل المثال في مقبرة « حوى » حاكم السودان العام في عهد الملك توت عنخ آمون حوالي سنة ١٣٤٠ قبل الميلاد رمماً يمثل وفداً سودانياً حضر الى مصر ليقدم فروض الولاء والطاعة لملك مصر ويحمل الهدايا اليه ، ومما يستحق الذكر أن أعضاء هذه البعثة كانوا يرتدون الملابس المصرية ، أي أنهم كانوا مصريين في حياتهم الخاصة وحياتهم العامة وبذلك استوى الشعبان المصري والسوداني في النهضة والرقى .

وظلت مصر والسودان محتفظة بوحدتها زمناً طويلاً واستمرت العلاقات أقوى بين مصر والسودان فقد زار الملك حور محب السودان حوالي سنة ١٣٠٠ وعند رجوعه نراه ممثلاً على جدران معبد جبل السلسلة محمولاً في محفة على أكتاف صفوف من جنوده كل صف يتكوّن من ستة من الجنود يتقدمه فريق من فرق الجيش السوداني . وهذا يرينا إلى أي حد امتزج السودانيون بالمصريين واشتركوا في أعيادهم وحفلاتهم ويرينا أن فكرة استعمار المصريين للسودان غير صحيحة .

كما كان من أهم أعمال الملك رمسيس الأول الداخلية إصلاح الطريق الموصلة الى مناجم

الذهب بصحراء النوبة الشرقية وهذا يعود بالخير الوفير على مصر والسودان معاً .  
ومن الطريف أن نذكر أننا نجد الكهنة في حفلة تتويج الملك رمسيس الثاني الذي  
حكم من حوالي سنة ١٢٩١ الى سنة ١٢٢٤ قبل الميلاد يحملون تماثيل بعض الملوك الذين  
حكموا قبل عهد هذا الملك على الترتيب الآتي : — الملك ميناء ، ثم نب حبت رع ، ثم أحس .  
وهكذا يسجل التاريخ ان أقدس ما يمثل الملوك والحكام إيمانهم بتخليد صحائف  
العزة القومية فتعرض في مواسم جلوسهم على عرش آبائهم وأجدادهم علائم النهضة ومواكب  
الابجاد ومفاخر الاجيال ، إذ أن هذه الاسماء الثلاثة كانت ترمز في أفكار قدماء المصريين الى  
أهم أعلام وحدة وادي النيل .

وخلاصة القول إن الآثار والنصوص تملأ الوادي من الشمال الى الجنوب وتنوّه بوحدة  
الأغراض الداخلية والخارجية للقطرين الشقيقين وتؤكد حق مصر في السودان .  
فالقطران الشقيقان يرتبطان بعرى النيل الوثيقة منذ فجر التاريخ حتى عصرنا الحالي لاغنى  
لأحدهما عن الآخر .

ويعيد الآن التاريخ نفسه في اجماع شعب الوادي — مصره وسودانه — على الالتفاف  
حول ملك الوادي فاروقنا المحبوب للسعي لتحقيق أهداف الوادي القومية والحوية .  
حفظ الله الملك لمصر ذخراً ولشعب الوادي قدوة ونفراً .



## أهم أعلام وحدة وادي النيل

١ - الملك نب حبت رع

مؤسس الدولة الوسطى (عصر الوحدة الثانية)

حوالي سنة ٢٠٧٠ قبل الميلاد

اختلفت الآراء في تعيين مؤسس الدولة الوسطى<sup>(١)</sup> ، فزعم البعض أن ذلك المؤسس هو أول ملوك الأسرة الحادية عشرة ، أي - في تقديرهم - الملك انتف (واح عنخ)<sup>(٢)</sup> . ورأى آخرون أن المؤسس الحقيقي للدولة الوسطى هو الملك أمنمحات الأول أول ملوك الأسرة الثانية عشرة<sup>(٣)</sup>

والرأي عندنا أنه لا هذا ولا ذاك ، وإنما هو «نب - حبت - رع» ، وذلك لما نوردته من اعتبارات فيما يلي :

أولاً : يقول أصحاب الرأي الأول أن الملك انتف (واح عنخ) هو مؤسس الدولة الوسطى ، لأنه أول ملوك الأسرة الحادية عشرة ، وقد أثبتت الحفائر الأخيرة خطأ هذا الرأي ، لأن حفائر المعهد الفرنسي بالقاهرة في منطقة «طود» كشفت لنا عن ملك غير معروف من قبل يدعى انتف (مهرتاوي)<sup>(٤)</sup> ، وقد تولى الملك قبل انتف (واح عنخ) فليس لنا بعد ذلك أن نعتبر انتف (واح عنخ) أول ملوك الأسرة الحادية عشرة ، ولهذا لا نأخذ بهذا الرأي . ثم إننا لا نرى أن نجعل مبدأ الأسرة بدءاً للدولة ، لأن الدولة إنما تبدأ حين تم وحدة البلاد ، فتتجمع أقسامها تحت سلطان ملك واحد . والواقع أن انتف

(١) الدولة الوسطى هي القسم الثاني من الأقسام القومية الثلاثة الكبرى التي مر بها التاريخ المصري القديم في عهد الاسرات الفرعونية ، وكان فراعنة مصر في أثناءها يتكلمون بمصر الموحدة .

(٢) من أنصار هذا الرأي Breasted في كتابه History of Egypt صفحة ١٣١ ، ٢٣٤ .

(٣) من هذا الفريق Junker في كتابه Die Aegypter صفحة ٨٧ .

(٤) راجع [Vandier, Un Nouvel Antiq. de la XI. Dyn. (Bulletin de l'Inst Fr. XXXVI)

(واح عنخ) لم يقم بهذا التوحيد، وإنما رجعت إلى مصر الوحدة القومية على يد الملك «نب-حبت-رع»<sup>(١)</sup>، بعد أن صادتها الفوضى قبيل أواخر الأسرة الثامنة، وبعد أن انقسمت البلاد المصرية إلى قسمين متعاصرين، أحدهما تحت حكم ملوك البيت الإهناسي، والآخر تحت حكم ملوك طيبة<sup>(٢)</sup>. ويثبت ذلك أن الملك نب-حبت-رع قد سجل على حوائط معبدته في «جبلين» مفاخرته بقمهر البصريين والأجانب على السواء، فنجدده يصف نفسه على المناظر المنقوشة على إحدى القطع بأنه «قهر رؤساء القطرين، ووطد الأمن في الشمال والجنوب وكذا في البلاد الأجنبية، وفي البلدتين (أي العاصمة)». فهذا النص يدل على أنه وحّد الوجهين، وأخضع البلاد المجاورة — هذا وإن المناظر المنقوشة تحت ذلك النص على نفس القطعة السابقة تمثل الملك وهو يضرب أربعة من أعدائه، وهم يمثلون بالتتابع (١) المصريين (٢) النوبيين (٣) الآسيويين (٤) الليبيين: فالعدو الأول ولوانه لا توجد فوقه كتابة تدل عليه إلا أن شكله يدل على أنه مصري، ومعنى ذلك أن الملك حارب المصريين وانتصر عليهم سواء في ذلك أهل مصر الوسطى والوجه البحري، ولم يميز الملك بين عدوه المصري وعدوه الأجنبي فوضع المصري مع أعدائه الأجانب، وبعبارة أخرى أن الملك لم يفرق بين انتصاره على الوجه البحري أو مصر الوسطى وانتصاراته على البلاد المجاورة لمصر. ويظهر أن هذه الحرب التي شنها هذا الملك على مصر الوسطى أدت إلى سقوط آخر ملوك الأسرة العاشرة في إهناسيا، وبذلك تمكن هذا الملك من حكم مصر الموحدة. أما العدو الآسيوي المهزوم فبرز إلى نصر الملك على الآسيويين القاطنين في شمال الدلتا الشرقية، وهذا يؤيد ما نقوله من أن نب-حبت-رع وحّد مصر، لأنه لا يستطيع هزيمة الآسيويين إلا بعد أن يتم له الاستيلاء على مصر الوسطى والدلتا. أما النصر على العدو الليبي فلا يتصور إلا إذا كانت سيادة الملك قد امتدت على حدود مصر الغربية.

(١) وطبعي أن هذا التوحيد الذي تم في عهد نب-حبت-رع لم يتم في يوم وليلة، بل مر بأدوار طويلة وحروب كثيرة بين ملوك إهناسيا أي ملوك الأسرتين التاسعة والعاشرة وبين أمراء طيبة الذين كونوا في التاريخ ما هو معروف بالأسرة الحادية عشرة.

ثانياً : والدليل الثاني على ما نرى أننا نجد اسم الملك « نب - حبت - رع » يظهر كثيراً على آثار متأخرة ، لأنه كان معتبراً أهم ملك في الأسرة الثامنة الأولى . بل نجد برهاناً أدل على ذلك إذ قد ورد اسم هذا الملك في معبد الرامسيوم<sup>(١)</sup> بين اسم الملك مينا مؤسس الدولة القديمة واسم الملك أحمس الأول مؤسس الدولة الحديثة فنجد الكهنة في حفلة تتويج رمسيس الثاني يحملون تماثيل بعض الملوك الذين حكموا قبل عهد رمسيس الثاني على هذا الترتيب : الملك مينا ، ثم الملك نب - حبت - رع ، ثم الملك أحمس الأول ، ثم باقي ملوك الأسرة الثامنة عشرة ما عدا الملكة حتشبسوت ، ثم ملوك عصر العارنة ، فالملك حورحجب ، فرمسيس الأول ، ثم سيتي الأول ، ورمسيس الثاني .

\*\*\*

واننا نلاحظ أن اسم هذا الملك قد ذكر بين أسماء مينا وأحمس ، وهما ملكان يرمزان في عقلية المصريين القدماء إلى ابتداء عصرين عظيمين في التاريخ المصري القديم ، فيينا هو مؤسس الدولة القديمة وأحمس هو مؤسس الدولة الحديثة . وهذا الوضع يدل بدهشة على أن « نب - حبت - رع » كان يعتبر أيضاً أنه ابتداء عصر جديد ممتازاً في تاريخ مصر ، وهو المعروف « بعصر الدولة الوسطى » ، لأنه وحد مصر كما وحدها من قبله مينا ومن بعده أحمس<sup>(٢)</sup> .

فن هذا نستدل على عظمة « نب - حبت - رع » تلك العظمة التي نوه بها من خلفه من الملوك لتوحيده مصر من جديد .

ثالثاً : من الواضح أن الملك نب حبت رع كان اسمه قبل أن يتم له توحيد مصر « نب - حبت - رع » ، ذا التاج الأبيض المقدس « منتوحتب » ، فلما وحد الوجهين استبدل باسمه الحوريسي اسماً مناسباً لموقعه الجديد وهو « سيأتاوي » ، أي موحد الارضين ، ( والمقصود

R. Lepsius, Denkmäler aus Aegypten und Aethiopien, III Tafel 163 (1)

(٢) ومما يلاحظي هؤلاء الثلاثة أنهم من الجنوب ، وإن كلا منهم استولى على الدلتا ، أي أن كلا منهم حكم وجهي القطر المصري على أساس غزوه للدلتا ثم مد سلطانه على الشمال .



بهما الوجهين القبلي والبحري). فأصبح اسمه نب - حبت - رع السيأتاوي<sup>(١)</sup>. فهذا الاسم أيضاً يدل على أن الملك «نب-حبت-رع» قد حكم الوجهين القبلي والبحري وكذلك شمل نفس التعبير لقب نبتي، أما الاسم الشخصي فقد بقي في الحالتين «منتوحتب» وكذلك اسم العرش أو اسم التتويج، فقد بقي في الحالتين واحداً في النطق، ولا عبرة باختلاف الرسم<sup>(٢)</sup>. وقد كان الباحثون من قبل يعتقدون أن اسمي «نب - حبت - رع ذي التاج الأبيض» و«نب - حبت - رع - السيأتاوي» أطلقا على ملكين مختلفين لا على ملك واحد، ويقولون إن معبد الدير البحري الذي يرجع تاريخه إلى الأسرة الحادية عشرة<sup>(٣)</sup> إنما بناه ملكان اسم أحدهما «نب

(١) ولتأيد هذا أمييف أن ظاهرة تغيير أسماء الملوك موجودة في تاريخ مصر القديم قبل عصر هذا الملك ، ولندكر خاصتهم إلى سبيل المثل فقد غير اسمه إلى خاسخوي . راجع :

G. Möller, Namenwechsel von Königen des alten Reichs و K. Sethe, Zunt

Namenswechsel des Königs Pipj I. (طبعي بمده اخناتون وثوت عنخ آمون وحرمه )

(٢) نجد اختلافاً كبيراً بين العلماء حول قراءة خرطوش هذا الملك ففرق من العلماء وعلى رأسهم برستد Et. Drioton et I. Vandier, Les Peuples de (Anc. Records, Hist. or Eg.) و Drioton مثلًا ١٩٢٨ p. 234 p' l'Orient Méditerranéen, 1928 «نب-خرو-رع»، و فریق آخر من العلماء وعلى رأسهم نافيل في كتابه Naville, the XI Dyn. Temple at Dier - Bahari p. 3-5 و Sethe, ä Z (1927) Hall, History of the Nur East 62 يلقبه بحق بلقب «نب-حبت-رع». أي أن الخلاف متحصر في قراءة العلامة المقذاف هل تقرأ «خرو» أو «حبت»، ولكن كلا من الاستاذين Naville و Sethe قد أثبت بحق أن هذه العلامة «المقذاف» تقرأ في هذه «حبت»، لا سيما وأن اسم هذا الملك قد ورد لنا في بردية Abbott مكتوباً منتهياً بحرف التاء، فهذا يثبت لنا أن علامة «المقذاف» لا يمكن في هذه الحالة أن تنطق «خرو». وعلى هذا الأساس يكون النطق الاصح لاسم هذا الملك هو «نب حبت - رع». ومن الجائز أن اختلاف العلماء في قراءة هذه العلامة هو الذي أدى البعض إلى أن يظن أن هناك ملكين بدلا من ملك واحد.

(٣) قوة هذا الملك وعظمته تتجلى بأوضح بيان في معبده الجنائزي في الدير البحري، فانه بعد أن تمكن من القضاء على الحروب الاهلية، وبعد أن عمل على راحة الشعب وعلى وجود السلام والتقدم بعد عصر الفوضى والاضطراب، عمل في بناء معبده العظيم الذي كان يعتبر في عصره أكبر وأهم بناء في العاصمة طيبة. وهو يقع جنوبي معبد حتشبسوت، وقد ابتدأت الحفائر للبحث عن هذا المبد سنة ١٩٠٣، وقام بها الاستاذان Naville و Hall، وكانت نتيجة حفرهما أنهما أخرجا للعالم بناء عظيماً لا يخضع لقواعد البناء التي كانت معروفة قبل ذلك، وهذا المبد قد أوحى فيما بعد إلى المهندس Sen-n-mut بالفكرة التي بنى عليها معبد الدير البحري الخاص بالملكة حتشبسوت.

حبت - رع - ذي التاج الابيض» ، واسم الثاني « نب - حبت - رع ( نب - خرو - رع )  
السياتاوي» .

ولكن البحوث الفنية المعمارية كانت تناقض فرضهم وتضعف حججهم، لان H. Bonnet<sup>(١)</sup>  
أثبت أن معبد منتو حتب نب - حبت - رع الموجود بالدير البحري من بناء ملك واحد لملكين  
أما نحن فقد بينا أن الملك حمل الامين جميعاً ، ورفضنا قول الذين جعلوه ملكين حكماً  
على التعاقب ، ونحن بهذا نقدم برهاناً جديداً على صحة رأي Bonnet . فلنا إذن أن نفترض  
أن الملك « نب - حبت - رع » بدأ في بناء هذا المعبد قبل توحيد البلاد المصرية ثم انتهى من  
بنائه بعد التوحيد<sup>(٢)</sup> .

رابعاً : مما يؤيد قيام هذا الملك بتحقيق الوحدة المصرية تمثال له في المتحف المصري  
يمثله لابساً تاج الوجه البحري الأحمر .

خامساً : نجد رمماً لهذا الملك في جهة « شط الرجال »<sup>(٣)</sup> ( بالقرب من أسوان ) ،  
يحمل على رأسه تاج الوجهين القبلي والبحري ، وذلك يؤيد النتيجة السابقة .  
فن كل هذه الأدلة تثبت لنا أن « نب - حبت - رع » أول من وحد المملكة المصرية في عهد  
الأسرة الحادية عشرة . وعلى هذا الأساس يكون هو المؤسس الحقيقي للدولة الوسطى ،  
وليس أنتف الأول

وكذلك لا يمكن الأخذ بالرأي الثاني ، وهو رأي يونكر وغيره من العلماء ، من أن  
أمنمحات الأول هو المؤسس الحقيقي لهذه الدولة، لاننا أثبتنا الآن أن أول من قام بتوحيد  
المملكة في هذا العهد هو الملك « نب - حبت - رع » ، وهو سابق لأمنمحات ، ونحن نعلم تمام  
العلم أن توحيد المملكة استمر في عهد من خلفه من الملوك ، فحدث استيلاء « نب - حبت - رع »  
على كل أرض مصر وتوحيدها من جديد حدث تاريخي هام جداً .  
وعلى العموم فقد كان هذا الملك رجلاً عظيماً وحد البلاد، فبدأ بذلك عصرًا جديداً

H. Bonnet : Zur Bangeschichte des Mentuhoteptompels ( ä, Z 60 40 ) (١)

(٢) فلكل هذه الاسباب مجتمعة سأجعل من « نب - حبت - رع ذي التاج الابيض » و « نب - حبت - رع  
السياتاوي » شخصية واحدة تحت اسم الملك « نب - حبت - رع » منتو حتب الثاني .

(٣) انظر Maspero : The Dawn of Civilisation p 463.

ممتازاً في تاريخ مصر . وقد أُنشأ عاصمة جديدة هي طيبة ، فاشتركت هذه المدينة لأول مرة في الحياة السياسية ، وامتد نفوذ إلهها آمون في الحياة الدينية . وكان هذا الملك بناءً كبيراً وإدارياً عظيماً ، وقد استطاع فوق ذلك أن يوجه عنايته للسياسة الخارجية بعد توحيد البلاد المصرية ، وسيطرته على النوبيين<sup>(١)</sup> في الجنوب فخارب قبائل العامو<sup>(٢)</sup> في الشمال الشرقي والليبيين في الشمال الغربي<sup>(٣)</sup>

ولعلّ نساند هذه العلة وتماصك تلك الحلقات — من نصوص وآثار ومقارنة — مما يرفع الشك ويزيل الخلاف .

(١) ونجد على النقوش الموجودة على الصخور بحجة أسوان أحد موظفي مالية هذا الملك المدعو ختي واقفاً في حضرة الملك « نب - حبت - رع » ، وبجانب تلك الرسوم نجد النص الآتي : —  
« في السنة الحادية والاربعين من حكم الملك نب - حبت - رع أتى حامل ختم الملك ظافراً وحاد بالسفن من واوات فن هذا النص نستنتج تاريخياً أنه في عهد « نب - حبت - رع » هذا قد أرسلت حملة إلى إحدى بلاد النوبة ( الواوات ) . ومما يؤكد ذلك أن لدينا قطعة من معبدته ، وهي الآن في متحف جنيف ، رسم عليها أسير ملون باللون الاسود لون أهالي بلاد النوبة ، وكذلك عرفنا محاربه للنوبيين من نصوص ونقوش معبدته في جبال كاكينا سابقاً . ومما تجدر ملاحظته هنا أن تاريخ هذه الفترة هو السنة الحادية والاربعين من حكم هذا الملك ، مما يثبت لنا أن مفتوح تب الثاني ( نب - حبت - رع ) قد حكم على الأقل إحدى وأربعين سنة ومما يدل على طول مدة حكم هذا الملك أيضاً ، أنه توجد لوحة حجرية في متحف تورين لأحد موظفي هذا الملك المدعو Merw وأهمية هذه اللوحة أنها تثبت لنا أنه قد حكم على الأقل ستاً وأربعين سنة ، بل أكثر من ذلك ، فقد وصل إلينا مدة حكم هذا الملك على بردية تورين مقدرة بأحدى وخمسين سنة ، وقد مكنته طول مدة حكمه هذا أن ينهي مشروعاته العظيمة . Farina, Il papiro die Re, Roma 1935 .

(٢) لدينا قطعتان حجريتان مكسورتان من نص تاريخي تفيد أن الملك نب - حبت - رع حارب قبائل العامو الساكنة على حدود مصر الشرقية ، وكذلك وجدنا رسوماً للعامو والاسيويين في معبدته أي أنه ثبت لنا تاريخياً أن « نب - حبت - رع » هذا قد حارب العامو . وبما أننا نعرف أن العامو يسكنون على حدود مصر الشمالية الشرقية ، فإننا نستنتج توأماً أن الملك الذي يحارب هؤلاء الاقوام لابد أن يكون أولاً مسيطراً على الدلتا حتى يستطيع أن يتفرغ لمحاربتهم ، لانه لو كان أهل الدلتا معادين للملك لقتلوا عليه خط الرجعة ، ولذلك الملك وحيشه ، وهذا من أم الأدلة التي تؤيد سيطرة الملك على الوجه البحري

(٣) عرفنا محاربه لاهل ليبيا من نصوص ونقوش معبدته .

## ب — الملك امنمحات الاول<sup>(١)</sup>

كيفية اعتلائه العرش : عقب وفاة الملك منتوحتب الرابع ( نب - تاوى - رع ) آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة بغير وارث قام نزاع بين الأمراء<sup>(٢)</sup> على تولي الحكم ويظهر أنه لم يكن بينهم أحد ذو شخصية بارزة . لهذا نرى أن امنمحات — وقد كان وزيراً لآخر ملوك الأسرة الحادية عشرة — يتطلع الى الملك ويمهد لنفسه بما أذاعه في البلاد من نبوءة ادعى وجودها منذ عصر سنفرى ، وهي تصف ما سيحل بمصر من الخراب وتنادي بأنه سيظهر ملك من الجنوب اسمه « امينى » وهو محتصر امنمحات ( يحكم الوجهين القبلى والبحري حكماً صالحاً فيوطد حكمه طمأنينة الناس وفرحهم .

ولقد ساعد على تحقيق مأربه واعتلائه العرش ما عرف عنه وهو وزير من نفوذ كبير فقد كان يحمل ألقاباً سامية غير الوزارة

على أن بعض العلماء يشك في أن الملك امنمحات هذا هو امنمحات وزير الملك منتوحتب الرابع آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة على أحدث الآراء . ولكنهم لم يستطيعوا أن يفسروا لنا اجتماع العوامل المختلفة على تأييد وجهة نظرنا . فانه مسلم من ناحية بأن الملك منتوحتب الرابع توفي عن غير وارث ، وأن أحداً من الأمراء لم يثبت أنه كان إذ ذاك يسمى باسم امنمحات وإن هذا الاسم كان على وجه اليقين لوزير الملك المتوفي وإن هذا الوزير كان ذا سطوة ونفوذ فليس هناك ما يدعو الى الوقوف عن ترجيح الرأي بأن يعتصب هذا الوزير

(١) حكم من عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد الى عام ١٩٧٠ ق. م. وليلاحظ الخطأ الشائع في بعض المؤلفات العربية من ايراد اسمه بالعين ( امنحت ) أو بالياء ( امنحت ) بدلا من الالف وهذا الخطأ منشأه التريب من المصرية القديمة . وليلاحظ أني أخالف كثيرين من العلماء في عدم عدده مؤسس الدولة الوسطى وليلاحظ أن اسمه يبدأ باللفظ الاله « آمون » وأنه يمكننا أن نستنتج من ذلك أن صاحبه من الجهة التي كانت عبادة الاله آمون سائدة فيها وذلك الحين وعلى ذلك يكون امنمحات الاول من جهة الاقصر وأرمنت (٢) هؤلاء الأمراء كانوا عبارة عن ملوك صغار في أقاليمهم فلم يكن منهم جيشه الخاص وحاشيته الخاصة ومقبرته الخاصة التي حفرها في صخور عاصمة ملوكه .

المُلك خصوصاً وإن التاريخ من ناحية ثانية قد ضرب لنا أمثلة أخرى لهذا الحالة عند ما قام الوزير « پارعمسو » نفسه ملكاً باسم رمسيس الأول وعند ما انتزع القائد حور محب العرش وتسمى باسم الملك « حور محب » .

على أن هذا المنطق تؤيده أدلة تاريخية أخرى فكيف يمكن أن نجتمع بين ما ورد في النبوءة السابقة الذكر من أن ملكاً من الجنوب سيتولى الحكم وبين ما هو ثابت من أن هذا الوزير كان من الجهة المذكورة ، لو لم يكن ما ذهب رأينا إليه صحيحاً .

ما اتخذ في سبيل تأييد عرشه وأهم أعماله : ما إن أحست البلاد المجاورة بأزمة الحكم في مصر حتى حدثت جنودها على الحدود الشمالية الشرقية والجنوبية تطلعاً إلى آمال الغزو فبادر امنمحات فوراً إلى طرد العدو بحزم وشدة شديدة من تلك الحدود فأعاد الطمأنينة إلى البلاد وكسب ثقة رعاياه .

أما الأمراء والحكام فقد سعى إلى استمالتهم بما منحهم من اقطاعيات وما وسعه من دائرة أراضي بعضهم كما فعل مثلاً مع خنوم حوتب الأول إذ عينه حاكماً على منعات خوفو ( بني حسن ) ثم أقطعه بعد ذلك إقليم قسم الوعل وذلك مكافأة له على إخلاصه له ومساعدته إياه في حروبه الداخلية والخارجية .

وجرى الملك امنمحات الأول على سياسة توحيد الكلمة بين المتخاصمين فأخذ يطوف في القطر ويفض المنازعات بين الحكام ويبسط العدل .

وقد اقتضت الحسنة من ذلك الملك أن يهدم من سلطة حكام الأقاليم بإقامة كبار الموظفين منافسين لهم في النفوذ وجرى على تلك السياسة الإدارية ملوك الأسرة الثانية عشرة من بعده حتى زال ما للحكام من سطوة نهائياً .

وقد راعى الملك في توزيع السلطات الإدارية أن يكون لولي عهده قسطٌ فيها حتى يلم شيئاً فهيئاً بمختلف نواحي الحكم ويتدرَّب عليه ويعهد له السبيل ضمناً لبقاء العرش خلفه فأشركه معه في الحكم إشراكاً فعلياً عشر سنوات كاملة قبل وفاته . وقد جرى على هذا النحو خلفاؤه من بعده. وأمل ما أوعز إليه باتخاذ هذا التدبير تدبيراً مؤامرة غير موفقة لاغتيالها وقد تطلب تركيز السلطة الإدارية في العاصمة ، نقلها من طيبة ( لم يكن مكانها يتوسط

القطر إذ هي نائية عن مصر الشمالية وقريبة من الحدود الجنوبية ( إلى اثنتاوى ) ومكانها الآن بالقيوم بالقرب من بلدة الاشيت الحالية وعلى بعد أربعة أميال من جنوبي منف .  
والى جانب هذا التعليل الإداري الذي يستند الى معنى « اثنتاوى » وهو قابضة الأرضين ( أي الوجهين القبلي والبحري ) قد تكون العلة في اختيار العاصمة الجديدة بين منف والقيوم متصلة بمشروعات الري العظيمة التي بدأت في ذلك العصر ولا سيما أن معظم الأراضي بمحور منف كانت ملكاً للبيوت القديمة التي أصبحت الآن ملكاً للتاج ومن ممتلكات الملك .

وإذا أضفنا الى واقعة بدئه حكمه باختيار موقع عاصمته الجديدة بين منف والقيوم ، وجود مقبرة له في شكل هرم بالقرب من القيوم ووجود هرم ابنه سنوسرت الأول في جهة القيوم أيضاً ووجود لوحة حجرية له في بلدة الجيج بالقيوم ، وكذلك وجود بقايا مسلة له ما زالت قائمة في مزارع تلك البلدة ، وأينا في ذلك ادحاضاً صريحاً لما يزمه بعض المؤرخين من ان اهتمام قدماء المصريين بجهة القيوم قد بدأ في عهد الملك امنمحات الثالث وتأيداً لما نقوله من ان عناية ملوك الأسرة الثانية عشرة بها ترجع الى عهد الملك امنمحات الأول .

بعد ان فرغ الملك امنمحات الأول من التنظيم الإداري للبلاد بدأ في ارسال البعثات الى منطقة سيناء لاستغلال المناجم واستخراج مسحق معدن النحاس لتنمية موارد البلاد المالية وقد سار باقي ملوك هذه الأسرة على ما بدأ به هذا الملك في هذا الصدد . ولقد ظن بعض العلماء ان ارسال البعثات الى سيناء لم يكن قد بسىء فيه في عهد الملك امنمحات الأول وأنه قد استقل بذلك دونه من أتى بعده من ملوك هذه الأسرة . غير ان هذا القول مردود بما وجدناه في سيناء من آثار الملك امنمحات ذاته . ويجدر بنا ان نذكر أن أهم ما كان يستخرج من مناجم سيناء هو مادة تسمى « الملمخيت »<sup>(١)</sup> كانوا يطحنونها ثم يعمدون الى

(١) لا يوجد النحاس في مصر معدناً منفصلاً في الطبيعة ولكنه موجود في مركباته ومع ذلك فقد عرفه واستعمله قدماء المصريين منذ فجر التاريخ ، وكانوا أول من اكتشفه في العالم ، وأهم خامات النحاس المعروفة في مصر هي « الملمخيت » واسمه باللغة المصرية القديمة « شمت » وهو مكون من كربونات النحاس الناعية ولونه أخضر وهو يكثر في شبه جزيرة سيناء والصحراء الشرقية ، ويمد أقدم وأهم خامات النحاس التي استعملها قدماء المصريين . وقد استعملوه كذلك في أغراض شتى كتكحيل العيون والتلوين بالوان الاخضر وكذلك في عمل الطبقة الزجاجية فوق القاشاني وفي عمل الخزف .

تسخين المسحق الناتج الى درجة حرارة عالية فيحصلون منها على معدن النحاس . وهذا المعدن كان من أهم موارد الدولة في ذلك الحين . بل اتخذوه ملوك هذه الأسرة مقوماً مالياً في التعامل .

وقد زاملت هذه البعثات بعثات أخرى لاستغلال المهاجر فقد ورد في النصوص ان هذا الملك بعث موظفيه الى وادي الحمامات لجلب حجر البرشيا وهو أحد الاحجار الجبلية التي كانت تستخرج من الجهة الواقعة بين النيل والبحر الأحمر ليصنع منها الملوك تماثيلهم وتوابيتهم

وأقام هذا الملك حصناً أطلق عليه « جدار الملك » في وادي طميلات للاحماية حدود الدلتا خشب، بل لمراقبة القوافل الاسيوية الرحالة مما يدل على يقظة هذا الملك وحذره من أولئك الاسيويين . وقد دلتنا النصوص على ان اليقظة كانت شديدة والحراسة دقيقة في هذا الحصن .

ثم شيد الملك امنمحات الأول في طيبة مسقط رأسه معبداً عظيماً للاله آمون . كما بنى كما ذكرنا على شكل هرم مقبرة له بالقرب من الفيوم . ولما كان الملوك قد جروا على اقامة بلدة بجوار كل هرم يسكن فيها من ساهموا في بناء هذه الدار الخالدة من مهندسين وصناع وعمال ومراقبي العمل والنظام من رجال الجيش وكهنة وغيرهم فقد أقام هذا الملك بجوار هرمه بلدة كانت تسمى « كانفرو » .

أما سياسته الخارجية فقد قلنا فيما سبق إنه وقت أن ولي الحكم الملك امنمحات الأول تطلع الاسيويون في الشمال الشرقي الى مصر والنوبيون في جنوبها الى تهديد الحدود المصرية وإنه بادى الى ردهم على أعقابهم .

وقد حدث بعد أربعة وعشرين سنة من توليه الحكم أن قامت اضطرابات جديدة على الحدود الشمالية الشرقية من قبل الاسيويين فأرسل الملك حملة عسكرية قوية بقيادة قائده « نسومنتو » أخضعهم بها إخضاعاً لم يقيم لهم بعدها قائمة لحين وفاته .

ثم بدأ اضطراب في العام التاسع والعشرين من حكمه على الحدود الجنوبية فأرسل ولي

عهده الشاب « سنومرت » على رأس الحملة لإخضاع النوبيين فأفلح في غزو منطقة الواوات بالنوبة . ولعل تلك الحملة لم يكن غرضها مجرد إخضاع النوبيين ، بل قصد بها أيضاً إلى الاستيلاء على ما اشتهرت به بلاد النوبة من الذهب وال عاج وريش النعام والجلود . وهو ما تحقق على يد ولي العهد رئيس الحملة .

وتروي لنا قصة « سنوهي » عن حملة ثالثة بعث فيها الملك بولي عهده سنوسرت على رأس جيش لمعاكبة الليبيين المتمردين على حدود مصر الشمالية الغربية . فعاد ولي العهد بعدد كبير من الأسرى ورؤوس لا تحصى من الماشية . ومع أن القصة لم يرد فيها تاريخ معين لهذه الحملة فإننا نستطيع أن نستنتج أنها تأتي في المرتبة الزمنية بعد الحملتين الأوليتين بما جاء في تلك القصة من أن ولي العهد اضطر في جنح الظلام إلى العودة إلى العاصمة تاركاً رأس الحملة إلى أحد قواده بمجرد أن بلغه خبر وفاة والده الملك .

وانتهى حكم هذا الملك بعد ثلاثين عاماً من توليه العرش . ونستطيع أن نقول إنه قد أصابه توفيق كبير في كلتا سياسته الداخلية والخارجية ، فبينما أفلحت وسائله في تركيز النفوذ في يد صاحب العرش بما كفله معه الاتجاه بمجهوده إلى تحقيق الإصلاحات الداخلية نرى أن حملاته العسكرية الثلاث قد أوتيت نجاحاً . فلا عجب أن يكون هذا التوفيق المزدوج سبباً في أن : « يعم الأسى رعاياه عند وفاته » كما حدثنا قصة سنوهي .





## ح - الملك أحسن الأول

لا يعدُّ هذا الملك من قديم الزمان أول ملوك الأسرة المصطلح عليها بأنها الأسرة الثامنة عشرة خنسب، بل يعتبر أيضاً على رأس عهد تاريخي نسميه الآن عهد وحدة مصر الثالثة (الدولة الحديثة)

وقد حكم أحسن الأول حوالي ٢٢ سنة أي من حوالي سنة ١٥٨٠ الى سنة ١٥٥٨ ق.م وهو ابن الملك الملقب بسقن رع الثالث والمملكة اباح حتب . ويغلب على الظن انه أخ الملك كاموزا، ولو ان هذه المسألة لا تزال موضع خلاف . وقد تزوج الملك أحسن الأول بالمملكة اعحسس نفرثاري

﴿أهم أعمال هذا الملك﴾: كان هذا الملك من أعظم الفراعنة الذين جلسوا على عرش مصر لا لأنه أخرج الهيكسوس من مصر كما سنرى فيما بعد ، بل لأنه وضع أساس سياسة داخلية جديدة للبلاد بل وسياسة خارجية سار عليها من جاء بعده من الملوك. وقد عادت هذه السياسة على مصر بفوائد حمة لما أدخله من الانظمة الادارية لقيام حكومة مركزية قوية في هذا الحين ضمناً لاصلاح ما أفسده الهيكسوس ولاصلاح أحوال البلاد الاقتصادية وتوطيد سلطة العرش والقضاء على كل سلطة محلية معارضة .

فنرى الملك أحسن الأول هو القائد الأعلى للجيش وهو في نفس الوقت رئيس للحكومة يتدخل في كل كبيرة وصغيرة وذلك طبيعي في مثل هذه الأوقات التي تعقب جلاء المحتلين . وكان على الملك غير إشرافه على وزرائه أن يراقب موظفي المالية . وكان النظام المالي في ذلك الحين يقضي بفرض الضرائب السنوية على الأراضي والبهائم والاملاك الأخرى ما عدا المعابد والاملاك الخاصة بالآلهة، وعلى الأخص المملوكة للآلهة آمون فهي معفاة من الضرائب .

وقد قسم الملك احسن الاول المملكة المصرية الى أقسام إدارية وجعل على رأس كل قسم موظفاً يلقب بـ مجاتي ماء بشرط ألا يتصرف هذا الموظف في أي أمر إلا بعد عرضه على الملك.

فكان هذا الحاكم أو الأمير في مركز مماثل لمدير المديرية في الوقت الحاضر .  
وأما القرى الصغيرة فكان يُعين عليها أحد الكتبة تحت إشراف رئيس . وأهمية وظيفة  
الكتّاب معروفة في مصالح الحكومة حتى اليوم .

ولقد امتدت مظاهر الرخاء المالي الى الناحية البنائية، ففي عهد هذا الملك فتحت المهاجر  
من جديد واستخرج الحجر الجيري الأبيض الجميل من محاجر طره ( أي بالقرب من المعصرة )  
واستعملت تلك الأحجار في بناء المعابد لآمون وبثاح وغيرها .  
وقد أصاب التلف والبلى أغلب آثار هذا الملك فنجد بقايا معبد له قرب أبيدوس .  
ويرجح أنه بني على شكل مدرج مثل معبد الملك منتوحتب الثاني من قبل ، والملسكة  
حتشبسوت من بعد . ولم يقتصر النشاط الحربي لهذا الملك على مطاردة الهيكسوس ومتابعهم  
الى فلسطين وتوحيد مصر بل يتعدى ذلك الى آتنام وحدة وادي النيل تحت عرشه وإخضاع  
السودان تحت لوائه .

وقد ترك لنا بعض كبار الموظفين تراجم حياتهم وما قاموا به من أعمال توضح لنا  
تاريخ عصر هذا الملك في السودان ، فهذا نص القائد البحري أحمس بن إابانا يمدّنا أن قلب  
جلالة الملك كان منعماً بالسرور بعد أن أخضع النوار في السودان ثم أبحر الى مصر بعد  
انتصاره .

وكان الملك يقابل إخلاص موظفيه وقواده بمنحهم الأراضي والعبيد ، فقد وهب أحمس  
ابن إابانا القائد السابق الذكر جزءاً يقدر بخمسة أروارات من الأراضي الزراعية (والأرورة عبارة  
عن مائة ياردة مربعة) . وهذا مثل يدل على السلطة المطلقة للملك في إعطاء الأراضي لمن  
يريدون . وهناك مثل آخر ولو أنه وصل إلينا من عصر متأخر أي من عصر رمسيس الثاني  
ولكن بعض عبارات هذا النص ترجع الى عهد هذا الملك . وهذا النص عبارة عن قضية  
معروفة بقضية Mes وتفيد أن أحد أجداد Mes كان معاصراً للملك أحمس فوهبه بعض  
الأراضي .

ولما قام به هذا الملك من جليل الأعمال لوحدة مصر ولوحدة وادي النيل نعلم تمام العلم  
انه الله هو وزوجته بعد وفاتهما في العصور اللاحقة .

## د — الملك رمسيس الثاني

رمسيس الثاني هو ابن سيتي الأول من زوجته Tuya وهو يعدُّ من أعظم ملوك  
الفرعونية ذيوخ اسم وأوسمها شهرة . وقد استمر حوالي سبعة من الفرعونية يسمون  
أنفسهم باسمه

وقد حكم الملك رمسيس الثاني حوالي ٦٧ سنة أي من سنة ١٢٩١ الى سنة ١٢٢٤  
قبل الميلاد .

ويعتبر عصره من أزهى عصور الامبراطورية المصرية كما ان له مثل هذا الاعتبار من  
جهة وحدة وادي النيل تحت تاج ملك مصر .

وقد بدأ رمسيس الثاني اصلاحاته الداخلية باستغلال مناجم الذهب في النوبة التي عني  
والده سيتي من قبل عناية كبرى باستغلال هذه المناجم .

وتذكر لنا النصوص ان حاكم السودان العام في عهد الملك رمسيس الثاني نجح في اصلاح  
الطريق الموصلة بمناجم الذهب وحفر الآبار ونصب لذلك حجراً أثرياً في وادي العلاقي  
عند كوبان .

وقد اتسعت الامبراطورية المصرية في عهد رمسيس الثاني فلم تعد طيبة المدينة الفرعونية  
العظيمة تصلح لأن تكون عاصمة لتلك الامبراطورية فاختار الملك رمسيس مكاناً بين أنهاء  
الامبراطورية التي تشمل سوريا شمالاً وبلاد السودان جنوباً فوقع اختياره على بلدة تانيس  
المجاورة للحدود الآسيوية ومماها « بر رمسيس »

وقد وصل الينا وصف هذه المدينة الجديدة في الاشعار المصرية القديمة وبانتقال  
العاصمة الى تانيس أصبح للدلتا مركز ممتاز فعظم شأنها .

ويعتبر عصر الملك رمسيس الثاني من أزهى عصور مصر من جهة فن العمارة والحفر  
فأضخم المعابد تنسب اليه ، وكذلك أضخم التماثيل والمسلات . وقد جدد معبد والده في

أبيدوس ، وأنشأ المعابد في تانيس ومنف والنوبة ، كما بنى الرمسيوم بطيبة ، وأضاف الى معبد الأقصر حوضاً كبيراً وصرحاً شاهقاً . أما القاعة الكبرى ذات العمدة بالكرنك التي بدأ سيتي بتشيدها فقد أتمها رمسيس الثاني وهي تعتبر من أعظم مميزات العالم القديم والحديث .

وأقام في السودان أكثر من ستة معابد وشيد في أبي سنبل أجل معابد النوبة .  
وقد عقد هذا الملك معاهدة دولية مع ملك الحثيين وهي تعتبر من أقدم المعاهدات الدولية (١)

وقد ذكرنا عند الكلام على الملك نب-حبت-رع أن في حفلة تتويج الملك رمسيس الثاني كانت تحمل الكهنة تماثيل بعض الملوك الذين حكموا قبل رمسيس الثاني أمثال الملك مينا ونب-حبت-رع وأحمس الأول .  
وهذا يرينا أن حفلة تتويج هذا الملك العظيم كانت ذات أهمية تاريخية لاحتفالها أيضاً بذكرى أعلام وحدة وادي النيل الى جانب الاحتفال بتتويج الملك .

(١) أول فرعون أقام سياسة المعاهدات والتحالف هو الملك تحتمس الرابع ابن الملك امنحوتب الثالث فقد عقد معاهدة صداقة مع بلاد الميتاني ضد دولة الحثيين .

# الحروب بين ملوك الشمال

وملوك الجنوب

قبل عصر وحدة مصر الثانية

وصلت إلينا أخبار الحروب الداخلية ، التي قامت بين ملوك اهناسيا في الشمال <sup>(١)</sup> وملوك طيبة في الجنوب <sup>(٢)</sup> من الطرفين المتحاربين بصورة تجردت لخصوصها من معرفة السبب الحقيقي الذي من أجله نهبت تلك الحروب

فيمكن أن يكون سببها ( ا ) خلاف بين الفريقين المتحاربين على منطقة واقعة في حدود طينة ( بلدة ازوريس ) ادعاها ملوك الشمال لأنفسهم وكانت في يد ملوك الجنوب ( ب ) وقد يكون السبب نزاع على الاختصاص الاداري بين موظفي الحدود كالحراس أو موظفي الضرائب في كل من المملكةتين الشمالية والجنوبية ( ح ) وقد يكون شعور أمراء الجنوب بالحاجة إلى توسيع حدودهم وشعورهم بقوتهم وبضعف الفريق الآخر ( د ) وغد يكون تطلع أمراء الجنوب إلى الرغبة في توحيد مصر مدفوعين إلى ذلك بعامل القومية كما فعل الملك مينا من قبل والملك أحس الأول فيما بعد .

واني شخصياً أرجح السبب الأول مع السبب الرابع وذلك لأن الملك خيتي الثالث ( واح كارع ) وهو من ملوك الشمال اعترف في وصيته لابنه خيتي الرابع ( مري كارع ) بأنه ندم على تعديه على طينة وقدامتها مما اضطر ملك الجنوب إلى الدفاع عن حدود منطقته الشمالية ردًا للامانة وسعيًا وراء توحيد القطر المصري كله

والذي نعلمه عن هذه الحروب هو أن أول ملك من ملوك طيبة ذكر التاريخ أنه حارب

(١) وكان سلطان افرعنة اهناسيا يمتد من الدلتا وينتهي عند طينة أو بلدة العراة المدفونة ومقر حاصتهم بلدة اهناسيا المدينة .

(٢) أما نفوذ افرعنة طيبة فكان يمتد من اسوان جنوباً وينتهي عند طينة شمالاً .

البيت الاهناسي هو الملك أنتف الثاني (واح عنخ) وذلك لأنه من الثابت ان المنطقة التي كان يحكمها هذا الملك تبدأ من الفنتين جنوباً وتنتهي في طينة شمالاً أي في القسم الاداري المصري القديم رقم ٨

\*\*\*

وقد عرفنا من لوحة حجرية وجدت في الجورنه مؤرخة من عصر الملك (واح عنخ) وموحودة الآن في المتحف المصري وهي للسمير الأوحد چاري وفيها يذكر : « ... بعد الحروب التي نشبت مع ملوك البيت الخبتي في المنطقة الغربية من طينة » ففي استنتاجنا أن نجزم من هذا النص بأن ميدان الحرب بدأ في أقصى المنطقة الشمالية التي كانت تحت حكم الملك انتف (واح عنخ) أي في بلدة طينة الواقعة في قسم ابيدوس والظاهر أن نتيجة هذه الحرب كانت في مصلحة ملك طينة لأننا نعلم فيما بعد ان حدود هذا الملك الشمالية وصلت الى منطقة أعلى من طينة وهي منطقة قسم الشعبان أي أنها وصلت إلى القسم العاشر الاداري من أقسام مصر الادارية

\*\*\*

وقد حافظ هذا الملك على هذه الحدود إلى السنة الخمسين من حكمه لأن بالمتحف المصري لوحة مؤرخة في السنة الخمسين من حكمه يسجل فيها : « ... ان حده الشمالي وصل الى قسم الشعبان » أي ان هذه المنطقة قد اعتبرت حدها شمالياً . وعليه فالنتيجة النهائية هي انه في السنة الخمسين من حكم (واح عنخ) لم يتم الاستيلاء على اقليم ابيدوس فحسب، بل وصل الى القسم العاشر

ولكن حكم ملوك طينة على هذا القسم العاشر الذي انتصر عليه (واح عنخ) لم يستقر ولم يكن نصيبه الهدوء والسكينة ، بل ثارت بعض الاجراء على من حكموا بعده كما ذكرت لنا لوحة حجرية لموظف يدعى « ايكا أورانتف » فنجد حاكم أسبوط المدعو « تف ايبي » والذي كان يعاصر ويشايخ الملك الاهناسي خبتي الثالث (واح كارع) يحلي جيش طينة في موقعة بحرية على القسم العاشر باسم ملك الشمال ويضطره للرجوع جنوباً إلى حدود الطرفين القديمة أي إلى طينة .

ثم أرجع الملك منتوحتب الأول قبيل وفاته حدود مملكته كسابق عهدا الى قسم الشعبان أي القسم العاشر .

ونعلم ان ابن « تف ايبي » المدعو خيتي والذي كان معاصراً لملك الشمال خيتي الرابع ( مري كارع ) قد حارب مع ملوك الشمال في القسم الحادي عشر ضد ملك الجنوب .

وبعد ذلك نجح ملوك طيبة في امتداد سلطانهم إلى شمال المنطقة الشمالية السابقة فاستولوا على أسيوط نفسها وهي في القسم الثالث عشر ، وبذلك ينتهي تاريخ أمراء أسيوط فعلاً أيام خيتي بن ( تف ايبي ) . وتكون منطقة القسم الثالث عشر هي أعلى ما بلغ اليه ملوك طيبة .

ونعلم بعد ذلك من نصوص حاتنوب الواقعة شمالي أسيوط أي في القسم الخامس عشر أن حروباً قامت في هذه الجهة أدت الى استيلاء ملوك طيبة على هذه المنطقة .

\*\*\*

وأخيراً استطاع ملك طيبة المدعو « نب - حبت - رع » ( منتوحتب الثاني ) بعد ذلك من توحيد المملكة المصرية فابتدأ بذلك حوالي سنة ٢٠٧٠ قبل الميلاد عصرأ جديداً ممتازاً في تاريخ مصر القديمة وهو المعروف بمصر وحدة مصر الثانية ( عصر الدولة الوسطى ) وقد استمر توحيد المملكة المصرية في عهد خلفه « سعنخ كارع » ( منتوحتب الثالث ) ونب - تاوي - رع ( منتوحتب الرابع ) وباقي ملوك عصر التوحيد الثاني . وبهذه المناسبة نقول إن عدد ملوك بيت طيبة ( المعروفين بملوك الأسرة ١١ ) وترتيبهم كالآتي على حسب أحدث الآراء :

- ( ١ ) انتف الأول ( سهرتاوي ) ( ٢ ) انتف الثاني ( واح عنخ ) ( ٣ ) انتف الثالث ( نخت - نب - تب - نفر ) ( ٤ ) منتوحتب الأول ( سعنخ ايب تاوي ) ( ٥ ) منتوحتب الثاني ( نب - حبت - رع ) ( ٦ ) منتوحتب الثالث ( سعنخ كارع ) ( ٧ ) منتوحتب الرابع ( نب - تاوي - رع ) .
- ويلاحظ ان بعض هؤلاء الملوك كان معاصراً لملوك البيت الاثناثي كما نرى هنا .

## الهيكسوس

### أصلهم وموطنهم الأول

اختلفت آراء المؤرخين في تحقيق أصل الهيكسوس وموطنهم وهم الذين غزوا مصر حوالي سنة ١٧٣٠ قبل الميلاد .

فبعض المؤرخين يؤكد أنهم الفريق الذي هاجر الى مصر من سلالة آرية<sup>(١)</sup> كان موطنها بلاه ما بين النهرين<sup>(٢)</sup> في وسط آسيا ثم هاجروا الى غربها حوالي سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد . والبعض الآخر يقول إن أصلهم من أعراب شبه جزيرة العرب<sup>(٣)</sup> غير أن الأبحاث الحديثة قد أسفرت عن أنهم من أصل سامي<sup>(٤)</sup> وموطنهم فلسطين<sup>(٥)</sup> وأنهم من طائفة اليهود الذين ورد ذكرهم في التوراة والقرآن الكريم

وقد رجعت الرأي الأخير في ملخص رسالتي للدكتوراه<sup>(٥)</sup> مستنداً في ذلك الى عوامل متعددة: منها ما أورده المؤرخ المصري القديم مانيتون من أن الهيكسوس « قوم شرقيون أتوا الى مصر من الشرق وأنهم من بني إسرائيل بعد أن فند ما زعمه البعض من أنهم عرب »<sup>(٦)</sup> ثم إننا نستخرج من مجرد تسمية المصريين للهيكسوس ما يؤيد الرأي المتقدم . فقد لقب الهيكسوس بألقاب متعددة في النصوص المصرية القديمة . أطلق عليهم اسم « حقاخاسوب » أي حكام قبائل فلسطين ( حرفياً الأراضي الجبلية ) . ومموا « طامو » أي الاسيويين وعلى

(١) N. D. Mironov, Aryan Vestiges in the Near East, Acta Orientalia 11 (1933) p.150 50 ff.; Junkea, Geschichte der Aegypter, 1933 p. 105

(٢) E. Biogelmann, Noch einmal : Die Hyksosfrage, Z. D. M. G. Bd. 90 (1963).

(٣) King, Studies in Eastern History.

(٤) R. Dussaud, Revue de l'Histoire des Religions 1934 p. 113 ff. Pahour Labib, Die Herrschaft der Hyksos in Aegypten, 1934 p. 8 ff.

(٥) Pahour Labib, Die Herrschaft der Hyksos in Aegypten, 1934 p. 8 ff.

(٦) Waddell, Manetho, in Loeb classical Library, 1940 p 77 ff.



الأخص الساميين . وكذلك أطلق عليهم « منتيوستت » وهو اسم القبائل التي كانت تسكن الصحراء في شمال شرق مصر جنوب فلسطين . وأخيراً سموا باسم « شاسو » الذي كان يطلق على سكان شمال شرق مصر ويقصد به قبائل جنوب فلسطين أعني الجزء الذي به قبائل جنوب فلسطين والذي به قبائل سامية .

تجميع هذه الأسماء المختلفة التي أطلقها قدماء المصريين على الهيكسوس تدل دلالة واضحة على أنهم من أصل سامي وإن لهم علاقة بفلسطين وهي الجهة التي كان يقطنها اليهود . ومن الأشياء التي تساعدنا على تأييد التعليل السابق أن أغلب الأسماء التي جهرت عن ملوك الهيكسوس وأفرادهم في عهد وجودهم بمصر وهي التي لم يعرف أنها أسماء مصرية ، ترجع إلى أصل سامي كنعاني . فعلى سبيل المثال نرى ضمن أسماء الملوك « يعقوب إل » و « عنات إل » وكلاهما اسم سامي كنعاني كما هو ظاهر . ومن أسماء الأفراد « حابد » و « نمنن » وهي أيضاً سامية كنعانية . فهذا يدل على أنهم كانوا من أصل يمتُّ بصلته كبيرة إلى العبرانيين .

غير أن بعض المؤرخين <sup>(١)</sup> يشير إلى أسماء بعض ملوك الهيكسوس التي لم يثبت لآن أنها سامية مثل سلاتيس وبنون وأباخنان . ولكننا لا نرى في ذلك شيئاً من الغرابة إذا لاحظنا أن مثل هذه الألفاظ، تتكوّن في غالب الأحيان من عناصر مختلفة . مع ملاحظة أن هذه الأسماء وردت إلينا عن طريق المؤرخ مانيتون باللغة اليونانية فقط . وقد نقلها بالطبع عن اللغة المصرية القديمة ويحتمل جداً أن يكون قد أصابها التحريف فلا يمكن إذن الجزم بأنها ليست أسماء سامية .

وقد ظهرت في مصر على أثر غزوة الهيكسوس أسماء آلهة سامية كانت تعبد أصلاً في فلسطين وتلك الآلهة هي « عنات » و « بعل » . فلو لم يكن الهيكسوس ساميين لما نقلوا معهم آلهتهم السامية إلى مصر .

\*\*\*

ومن المسلّم به أن الهيكسوس هم أول من أدخلوا استخدام الجواد والعربة إلى مصر

(١) Junker, Die Aegypter p. 105

ونحن اذا تتبعنا تسمية المصريين للجواد وللعربة وجدنا انها أسماء سامية كنعانية . فالجواد كان يسمى « مسمت » وهي كلمة كنعانية سامية . وأطلق على العربية « مركبات » وهي كلمة أيضاً سامية كنعانية . ولا يجوز عقلاً أن نفرض استعمال الهيكسوس لغير لغتهم الأصلية في تسمية هذه الأشياء ما لم يقيم الدليل على ضدّ هذا .

وقد أظهرت لنا الحفائر الأخيرة في فلسطين <sup>(١)</sup> عدة مقابر ترجع الى عصر الهيكسوس ومؤرخة بأسماء ملوكهم فهذا دليل مادي على وجود صلة ما بين اليهود في فلسطين وما بين الهيكسوس في مصر .

كذلك معروف أن العبرانيين كانوا يعبدون الحمار فاذا توصلنا الى التحقق من عبادة الهيكسوس له استطعنا أن نقيم الدليل على أنهم من أصل سامي . وفي سبيل ذلك نقول أنه وجدت في المقابر السالفة الذكر أربعة حير مدفونة في مستوى أعلى من مستوى الأشخاص أنفسهم .

وفي هذا وحده دليل على عبادة هذا الحيوان . إذ لو كان دفنها في المقابر بقصد القران لوجدت في مستوى الأشخاص أو تحتهم . وليس فوق هذا المستوى كما قد لوحظ فعلاً من وجود جيات مدفونة كقرايين في مستوى أقل .

وما دمنّا قد ذكرنا أن هذه المقابر مؤرخة بأسماء ملوك الهيكسوس فإننا نستنتج من ذلك أن عبادة الحمار كانت سائدة بين الهيكسوس يؤيد ذلك أيضاً أن أحد ملوك الهيكسوس كان يسمى « عاقن » أي « الحمار القوي » <sup>(٢)</sup> ومعروف ما جرى عليه الملوك من إدخال أسماء الآلهة في ألقابهم وقد أقر الأستاذ Bissing في مقاله :

“Das angebliche Weltreich der Hyksos” in Archivder Orient. For- chung. Juli

1937 p. 325 ff. هذه الأسانيد صراحة فيما عدا هذا الدليل إذ يهتز بقوله أنه عثر على حير وجيات مدفونة في مقابر أبي سنبل وترجع الى القرن الرابع والسادس الميلادي . وعلى هذا فدفن الحير في مقابر فلسطين لا يدل على معاصرتها لملوك الهيكسوس . غير أنه فاته أن

(١) Petrie, Ancient Gaza, I, p. 3 ff.

(٢) Pahor Labib Die Herrschaft der Hyksos in Aeg., 1934 p. 25.

دليانا قائم على ما هو ثابت من أن المقابر السالفة الذكر مؤرخة بأسماء ملوك الهيكسوس وهو دليل مادي حاسم . يضاف الى هذا استنتاجنا في عبادة الهيكسوس للبحمار قائم كذلك على طريقة دفنه وهذه الطريقة لم تتوافر إطلاقاً في مقابر أبي صنبيل . هذا فضلاً عن ان العالم المذكور لم يعترض على الحلقات الأخرى التي تساندت في قاييد بعضها بعضاً .

يضاف الى ما تقدم أنه على أثر غزوة الهيكسوس لمصر اختار الغزاة أحد آلهة المصريين وهو « ست » وساووه بآلهتهم . وكان مظهر هذه المساواة أن جعلوا الاله « ست » في لغتهم مخفصاً لكلمة حمار « عا » .

ثم هناك مسألة أخرى تؤيد ان الهيكسوس أصلهم سامي ومن فلسطين ، وذلك انه معروف أن القوم المسمعون باسم « خبيرو » في خطابات تل العمارنة الحرة بالخط المسماري هم قوم ساميون استولوا على فلسطين ومنها وصعوا سلطانهم وانهم مقيمون في فلسطين الى عهد أخناتون .

دلت أبحاثنا على ان كلمة « خبيرو » ترادف الكلمة المصرية القديمة « عيري » وهي عبري الحالية . وذلك لأن الخط المسماري لم يعرف حرف العين فكتب « خ » بدل « ع » . أما ابدال الباء بـ « پ » فعروف في اللغة المصرية القديمة ، فنلاحظ كلمة كراج تكتب بالمصرية الفرعونية اسبر أو اسبر مع انهما استعمالاً معاً في عصر واحد في عهد وحدة مصر الثالثة ( الدولة الحديثة ) .

وأخيراً وجدت في إحدى مقابر بني حسن في أحد أركان الحجرة صورة تمثل قبيلة كنعانية مؤلفة من ٣٧ شخصاً من رجال ونساء وأطفال وفدت من فلسطين الى مصر في أيام الملك سنوسرت الثاني . وأول ما يلاحظ على تلك الصورة هو ان ملامح هؤلاء الأشخاص ولباسهم وأوصافهم واضحة الدلالة على انهم من أصل سامي . كما ان تلك الصورة ذكرت نقوشها انها كانت برآسة « إيشا » الذي يحمل لقب « حقا خاصوت » وهذا اللقب هو الذي اختاره ملوك الهيكسوس فيما بعد لأنفسهم ، بل أكثر من ذلك فإن هذا النعت قد أطلقه المصريون على قبائل هؤلاء الغزاة قبل غزوهم مصر وبعد طردهم منها .

فاذا كانت هذه القبيلة سامية الأصل فلسطينية الموطن وملقب رئيسها بلقب ملوك

الهيكسوس فذلك مما يبعث على الاطمئنان الى تأييد ما نقوله من أن الهيكسوس كانوا من ذلك الأصل ومن هذا الموطن .

والى جانب ما تقدم هناك عدة أسانيد أخرى أوردناها في ملخص رسالتنا للدكتوراة لا نرى محلاً لها في هذه المقالة . غير أننا نستطيع ان نضيف الى تلك الأسانيد حجة جديدة لم ترد في رسالتنا تؤيد وجهة النظر السالفة من حيث ان الهيكسوس ساميو الأصل وهي ان هناك أثراً من العاج على شكل أبي الهول يضرب بأظافره مصرياً يمثل أحد ملوك الهيكسوس . وقد لاحظ العلامة شارف في كتابه « Handbuch der Archaeologie » الذي ظهر في عام ١٩٣٩ « إن ملامح هذا الملك الهيكسوسي واضحة الدلالة على أنه سامي الأصل »

\*\*\*

### عاصمة ملكهم ومدة حكمهم

يشوب عصر الهيكسوس ظلام قال عنه الأستاذ بريستد في كتابه عن تاريخ مصر ما ترجمته : ان هؤلاء القوم لم يتركوا بعدهم في مصر إلا آثاراً يسيرة يصعب على الأثريين الاستدلال بها على شيء حتى على الوطن الأصلي هؤلاء الغزاة ومدة حكمهم وكيفية سيادتهم « على أنه بالرغم من هذا الظلام فقد تحدثنا عن أصل الهيكسوس وموطنهم الأول فأمكننا جلاء الغامض على قدر الجهد في هذه الناحية ونستطيع أن نكشف اليوم من هذا العصر أيضاً ، عن ناحية عاصمة ملكهم ومدة حكمهم .

يحدثنا مانيتون « ان الهيكسوس اختاروا بلدة هوارس عاصمة لهم وان الباعث على تسميتها بهذا الاسم يرجع الى أسباب دينية » فعندما نقارن هذا بما حدثتنا به الآثار نجد انه في الوقت الذي كان يحكم فيه ملوك طيبة في الجنوب اتخذ الهيكسوس لهم في الشمال بلدة تدعى « حاتوعرت » ( هوارس ) عاصمة لهم ونرى أنها في الأصل الهيروغليفي تكتب بصورة القدم وهذه الكتابة تعطينا فكرة عن سبب رواية مانيتون من ان تسميتها راجعة الى أسباب دينية .

ويصحّ ان ما نيتون عند ذكر هذا جالت بفكره قصة أوزيريس . والمعروف ان أهم شيء في هذه القصة هو ان أجزاء جسم أوزيريس قطعت بواسطة الاله ست ويصح ان يكون عضو من جسمه وهي القدم قد استقرت في هوارس (حات وعرت) وبذلك يكون معنى الاسم بلدة معبد قدم أوزيريس . ومن جهة أخرى نرى ان كلمة « وعرت » تعني « قدم » وهذا المعنى وصل إلينا كذلك من اللغة القبطية ( المصرية ) مما يجعلنا نقول ان التسمية من الوجهة الدينية جائزة .

وقد وصل إلينا اسم هذه العاصمة في عصور متأخرة عن عصر الهيكسوس كما في بردية صاليه الأولى مثلاً ، مكتوباً في صورة أخرى غير صورة القدم وهي صورة رجلين أيضاً الى جانب القدم . فمن الجائز جداً ان المصريين بعد طرد الهيكسوس رسموا اسم المدينة بهذا الشكل للدلالة على خروج الهيكسوس منها . إذ أن معنى هذا الرسم الجديد هو مكان الهروب . وذكر لنا نص الملكة حتشبسوت في معبد بالقرب من بلدة القوصية أنها أصابحت التلغ وأكملت الناقص بعد ما كانت البلاد تن تحت حكم الهيكسوس الذين كانوا في عاصمتهم بلدة حات وعرت ( هوارس ) في الدلتا . فستوثق من هذا النص ان عاصمة الهيكسوس حات وعرت في الدلتا . ولا بدّ لنا من تحديد موقعها على وجه الدقة . لدينا لوحة حجرية لأحد الموظفين هاش في ادفو يخبرنا فيها : « انه سافر شمالاً حتى بلدة حات وعرت ( هوارس ) وجنوباً الى كوش » . وهذا النص يرينا أن الموظف سافر الى أقصى الشمال في الدلتا بالقياس الى كوش الواقعة في أقصى الجنوب .

ولدينا رسم لاسم المدينة يدل على انها واقعة على الساحل فهي إذن تقع في شمال الدلتا بالقرب من الساحل .

بعد ذلك لدينا رسم آخر لاسم المدينة يدل على أن شطراً منها يطل على طريق صحراوي وأخيراً بطريق مقارنتها مع بلدة أخرى تدعى « حات وعرت امنتت » أي حات وعرت الغربية « نعلم أن الأولى (عاصمة الهيكسوس) لا بدّ أن تكون في الجهة الشرقية . فهي إذن تقع في الشمال الشرقي من الدلتا على الحدود الصحراوية وعلى البحر .

وقد اختلف العلماء كما هو معروف في تحديد موقع عاصمة الهيكسوس . غير ان

Gardiner<sup>(١)</sup> توصل الى نتيجة يمكن الاطمئنان إليها معتمداً على عوامل متعددة . والعوامل التي بلغت به إليها يمكن تلخيصها فيما يلي : —  
(أولاً) المكتشفات التي قام بها الأثري<sup>(٢)</sup> Montet في بلدة تانس  
(ثانياً) ثم تحليل Sethe<sup>(٣)</sup> للوحة حجرية مؤرخة في السنة الأربعمئة من تجديد عبادة الإله ست .

وعلى ذكر ما تقدم نقول إنه الى عهد قريب كان الرأي السائد بين العلماء هو أن عبادة الإله « ست » لم تأت إلى شمال شرقي الدلتا إلا أيام حكم الهيكسوس . والحقيقة أنها أتت الى هذه الجهة قبل ذلك بدليل النص الوارد في مقبرة « بحر نفر » الذي أنبته الأستاذ يونكن في مقالة عام ١٩٣٩ كالآتي : —

« كاهن الإله ست قائد المحاربين الذي في بلدته سورت » والذي علق عليه بقوله « سورت هذه هي المنطقة التي تقع شمال شرقي الدلتا » فإذا كان تاريخ هذا النص هو الأسرة الرابعة فعني هذا أن عبادة الإله ست ترجع الى الدولة القديمة أي إلى ما قبل دخول الهيكسوس في تلك الجهة وهذا يفسر لنا لماذا كان جد ملوك الرامسة وبعض ملوك قدماء المصريين يعبد الإله ست إله تلك الجهة .

(ثالثاً) تحليل نصوص مصرية أخرى ونصوص يونانية .  
(رابعاً) مقارنة تبين أن الآلهة التي عبدت في « بر — رسميس » عاصمة الرامسة هي بعينها الآلهة التي عبدت في « حات — وعرت » (هوارس) عاصمة الهيكسوس وعلى رأس هذه الآلهة الإله « ست »



وقد أسفرت هذه البحوث عن أن عاصمة الهيكسوس هي تلك البلدة التي اختارها فيما بعد الرامسة عاصمةً ملكهم وممها « بر — رسميس » وكانت تسمى لدى الهيكسوس

(١) A. Gardiner, Tanis and Pi Ramesse, A Retractation, Jour. Eg. Arch XIX p. 122 ff.  
(٢) P. Montet, Les Nouvelles Fouilles de Tanis; P. Montet, Les Dieux de Ramses — aimé — d'Amon à Tanis (in Studies Presented to Griffith) p. 406 ff.  
(٣) Sethe, Der Denkstein mit dem Datum des Jahres 400 der Aera von Tanis

«حات-وعرت» هوارس» ثم أطلق عليها اليونان اسم « تانس » ثم أطلق عليها العرب الاسم الحالي « صان الحجر » السكينة في شمال الدلتا الشرقي<sup>(١)</sup> حيث وجدت أخيراً آثار الملك شينشق . ونحن نلاحظ أن مدينة هوارس (حات-وعرت) التي اتخذها الهيكسوس عاصمة لهم لم تنشأ من العدم وإنما قامت على أنقاض بلدة صغيرة كانت معروفة من قبل . وكانت الحكمة من جعلها قريبة من الحدود الشرقية للدلتا، هي أن تكون قريبة من بلادهم الأصلية ليسهل عليهم العودة الى وطنهم الأصلي في وقت الحاجة، أي بعبارة أخرى لأسباب جغرافية سياسية .

### مدة حكم الهيكسوس

اختلف العلماء القدماء منهم والحديثون في تقدير مدة حكم الهيكسوس في مصر . فيحدثنا مانيتون عن طريق أفريكانوس أن مدة حكمهم في مصر هي ٩٢٩ سنة كما يحدثنا أيضاً عن طريق يوسفوس أن مدة حكمهم في مصر لا تبلغ إلا ٥١١ سنة وهناك فريق من العلماء يسمون أصحاب التوقيت المطول الذين يتبعون توقيت مانيتون مثل Petrie يقدرون حكم الهيكسوس بمدة تقرب من خمسة قرون وربع قرن .

وهناك فريق آخر من العلماء يسمون أصحاب التوقيت المختصر مثل Meyer و Breasted يخالفون الرأي السابق ويعتقدون أن هذه المدة هي مائة سنة فقط، أما Dubois Richard<sup>(٢)</sup> فيظن وهو من أصحاب التوقيت المختصر أيضاً أنها مائتا سنة .

أما نحن فنرى أن مدة حكم الهيكسوس تبلغ نحو قرن ونصف قرن أي من سنة ١٧٣٠ ق . م الى سنة ١٥٨٠ ق . م<sup>(٣)</sup> وقد توصلنا إلى هذه النتيجة مما يأتي : — من المستحيل الأخذ بفكرة التوقيت المطول لأنها تتعارض مع الآثار المعاصرة ومع التاريخ المقارن والتاريخ الفلكي وعلى هذا الأساس فإن المدة التي وصلنا عن طريق مانيتون وعن

(١) Pahor Labib, Die Herrschaft der Hyksos in Aegypten, p. 20 ff.

(٢) Dubois—Richard, Essai sur les Gouvernements de l'Égypte, Le Caire 1941, b. ٥0

(٣) Pahor Labib, opp. cit p. 22

أصحاب التوقيت المطول مبالغ فيها كل المبالغة لأن كل الفترة التي ما بين آخر الأسرة الثانية عشرة وأول الأسرة الثامنة عشرة لا تتمدى مائتي سنة وسبع سنوات (من ١٧٨٧ ق. م إلى ١٥٨٠ ق. م).

وأما نظرية بريستد وماير في أن مدة حكم الهيكسوس هي مائة سنة فقط خطأ . ذلك لأن بردية الملوك بمتحف تورين تذكر لنا أن مجموع مدة حكم ستة ملوك من الهيكسوس هو مائة وثمانى سنوات <sup>(١)</sup> وهؤلاء الستة هم المعروفون بملوك الأسرة الخامسة عشرة أي أن مدة حكم أول أسرة هيكسوسية بلغ مائة وثمانى سنوات فتكون أسرة واحدة من الهيكسوس حكمت وحدها أكثر من المدة التي قدرها بريستد وغيره من العلماء ، ولذلك لا يمكننا الأخذ بهذه النظرية . وكذلك نرى أن قول Duhois Richard مبالغ فيه أيضاً ، ذلك لأنه لدينا أهم مستند في هذا الموضوع يساعدنا على تحديد مبدأ دخول الهيكسوس مصر وهو لوحة حجرية كبيرة وجدت في مدينة تانيس وهي من عصر الملك رمسيس الثاني وهذه اللوحة التاريخية أقامها رمسيس الثاني تخليداً وتمجيداً لذكرى والده سيتي ولجده الأكبر المدعو أيضاً سيتي وتمجيداً لعبادة الإله ست . وتتحدث هذه اللوحة عن ملك اسمه Nubti وأوردت له إسمًا ثانياً وهو « ست » القوي وأرخت هذه اللوحة بيوم ٤ مصرى من السنة الأربعمئة من حكم « نوبتي » ست القوي ونعرف أن « نوبتي » هذا هو اسم الإله « ست » وهو مشفق من المدينة التي عبد فيها هذا الإله . إذاً هذه اللوحة التاريخية تتحدث (أولاً) عن عصر يرجع إلى ما قبل سنة ٤٠٠ من تاريخ إقامة هذه اللوحة . و (ثانياً) تتحدث لوحة الأربعمئة سنة عن تمجيد وتخليد ذكرى والد الملك رمسيس الثاني المدعو سيتي والمعروف بالملك سيتي الأول . وتتحدث كذلك عن أحد أجداد رمسيس الثاني وهو جده الأكبر المدعو سيتي أيضاً . وكانت وظيفته « رئيس فرقة الأقواس » تحت حكم الملك حورحب أي حوالي سنة ١٣٣٠ ق. م ومعنى ذلك أن كلا من والد رمسيس الثاني وجدّه تسمّى باسم الإله ست لأن معنى كلمة سيتي « المنتسب الى الإله ست » لهذا نجد أنه ليس غريباً أن تتحدث

(1) Pahor Labib, op. Cit., p. 22



عن لوحة خاصة بتجديد ( وليس تأسيس كما يزعم بعض المؤرخين ) عبادة الإله ست في شرق الدلتا لأن عبادته وجدت قبل ذلك ولأننا نعلم أن الآلهة الذين عبدوا في عصر الهيكسوس في بلدة تانيس هم نفس الآلهة الذين عبدوا في هذه البلدة في عصر الرامسة وعلى رأسهم الإله ست . وكذلك عرفنا أن عاصمة الهيكسوس « هوارس » هي نفس عاصمة الرامسة « بر - رمسيس » وكلاهما مكان تانيس أو صان الحجر الحالية .

والآن بعد أن عرفنا أن الجدد المقصود بهذه اللوحة هو سيتي وأنه معاصر للملك حور محب فلفنـطـيف الاربعمائة سنة الواردة في هذه اللوحة من عصر هذا الجدد الذي كان معاصراً للملك حور محب الى السنة التي تولى فيها حور محب العرش وهي سنة ١٣٣٠ ق. م . فينتج لنا سنة ١٧٣٠ ق. م . وهي سنة تجديد عبادة الآلهة ست ومبدأ دخول الهيكسوس مصر لأن عبادة الإله ست وجدت في أول عهد الهيكسوس عند ما جدد بناء العاصمة تانيس ( هوارس ) .

والآن بعد أن عرفنا ان سنة دخول الهيكسوس مصر هي سنة ١٧٣٠ ق. م . وان أول حكم الأسرة الثامنة عشرة هو سنة ١٥٨٠ ق. م . وهي سنة طرد الهيكسوس نهائياً من مصر نستطيع أن نؤكد ان مدة حكم الهيكسوس هي مائة وخمسون سنة .

### مدى توغل الهيكسوس في مصر

يحدثنا المؤرخ مانيتون أن « الهيكسوس استولوا على مصر بسهولة وبغير حرب لأن أهل مصر كانوا في ثورة وهياج » وكلام مانيتون صحيح تؤيده مقارنة الآثار ، إذ أننا نرى أنه ابتداءً من منتصف الأسرة الثالثة عشرة ( أي حوالي سنة ١٧٥٧ ق. م ) عمت القوضى البلاد وبدأ الضعف يدب في صميم الدولة

فبردية Sallier I ( وهي محفوظة في المتحف البريطاني وتاريخها يرجع الى عصر الملك منفتاح ومحتوياتها ترجع رغم ذلك الى عصر الهيكسوس ) تورد الجملة الآتية : —  
« حدث أنه كان في أرض مصر خطر أو وباء ولم يكن هناك سيدٌ ما ملِكاً بينهم » .

فيتضح لنا من هذا النص التاريخي القديم إن مصر كانت في حالة فوضى وأن المصريين عجزوا عن إقامة ملك منهم مما سهّل فيما بعد على الهيكسوس الاستيلاء على مصر حوالي سنة ١٧٣٠ ق م. وقد جاءت أحوال مصر السيئة مؤاتية للغزاة في وقت كان الضغط عليهم في بلادهم يزداد شدة ويدعو الى هجرتهم نتيجة لإفارات حلت في القرن الثامن عشر قبل الميلاد. وكان مردّها الى حركة اندفاع الشعوب الهندية الأوروبية ( الآرية ) في آسيا وهجرتها لاسيا وقد دخلوا مصر بخيلهم وعرباتهم وغير ذلك من الفنون الحربية التي يجلبها المصريون فتفوّق الهيكسوس من الوجهة الحربية سهّل لهم الاستيلاء على المدن والقرى فاستولى الغزاة على ممفيس برغم موقعها الحربي المنيع . ونعلم ذلك من نص مكتوب بالهيراطيقي على لوحة معروفة بلوحة كارنارفون

وعلى لوحة كارنارفون هذه نص آخر يؤيد بادية سالميه السابقة الذكر وفيه أن « ملكاً من الجنوب - من طيبة يدعى كامس جمع قوّاده وخطبهم قائلاً : « أريد أن أعرف ماهي قوّتي اذا كان هناك أمير في بلدة حات وعرت ( عاصمة الهيكسوس ) وأمير آخر في بلدة كوش وأنا جالس مع أسيوي ونوبي <sup>(١)</sup> كل واحد منهما يملك نصيبه في أرض مصر ويفاركني الأرض أنا لم أعطهم الفرصة أن يصل حتى ممفيس ولكن أنظر الآن فقد تمّ استيلائه على الأشمونين » <sup>(٢)</sup> .

فمن هذه النصوص نخرج بأن الهيكسوس توغلوا في الدلتا ثم استولوا على ممفيس ثم وصلوا الديار المصرية الى بلدة الأشمونين .

وفي ردّ القواد السابقي الذكر على الملك كامس ، وهو ردّ نجهده أيضاً على لوحة كارنارفون نجد أن هؤلاء القواد ردّوا على الملك قائلين : « ولو أن الهيكسوس وصلوا الى بلدة القوصية ( الواقعة بالقرب من ديروط ) وأخرجوا ألسنتهم دفعة واحدة سنكون في هدوء لأننا نملك مصرنا ولأن ( الفنتين ) قوية والجزء الأوسط من مصر في حيازتنا حتى القوصية وعلاوة على ذلك

(١) دليل على أن السودان فصلت عن مصر

Pahor Labib, Die Herrschaft der Hyksos, p. 17 ff. (٢)

تحرث لنا أحسن أراضيهوم ومراعيها ما زالت في الدلتا فالغلال ترسل الى خنازيرنا وكذلك لم يستولوا على مواشينا «  
فمن هذا النص نرى أنه يمكننا تعيين الجهة التي وصل إليها الهيكسوس في مصر وهي جهة القوصية، بل يرينا هذا النص كذلك أن الهيكسوس في الدلتا لم ينزعوا ملكية الأراضي التي كان يملكها فيها أهل الصعيد . ومع ذلك فهناك طائفة من العلماء أمثال بيري وأدوارد ماير ويونكر تظن أن الهيكسوس توغلوا في الأراضي المصرية الى أبعد من ذلك . ويستندون في رأيهم هذا إلى قطعتين من الحجر وجدتا في جيبسين (بالاقصر) عليهما أسماء الملك خيان<sup>(١)</sup> والملك أبوفيس .

ولكننا لا نعد هذين الحجرين دليلاً كافياً على صحة ما تذهب اليه هذه الطائفة من العلماء وذلك لأننا نلاحظ أن الملوك الذين أتوا في العصور المتأخرة عن عصر الهيكسوس أخذوا آثار الهيكسوس ونقلوها من مكان الى آخر  
فمثلاً : ان جاردنر وجد أثناء من الجرائنيت للملك ما أوسر رع أبوفيس في مقبرة الملك امنحتب الاول في طيبة .

إذن فلنمض في تأييد وجهة نظرنا ولنورد هنا آخر يؤيد نص لوحة كارنارفون وهو نص الملكة حتشبسوت في معبد Speos Artemidous بالقرب من القوصية فقد جاء فيه ان الملكة أصلحت معبد حاتحور وجددته وقد كان في جهة القوصية وكذلك المعابد الأخرى التي هدتها الهيكسوس حتى بلدة القوصية . وهو يحملنا على الظن أن معبد بلدة القوصية هو آخر معبد وصل اليه تخريب الهيكسوس . والنص بالحرف يقول : « لقد أصلحت التلف وأكملت النقص بعد ما كانت البلاد تنث تحت حكم الهيكسوس الذين كانوا في عاصمتهم بلدة هوراس (حات وعرت) في الدلتا » . فهذان النصان يؤيدان أن الهيكسوس وصلوا فقط إلى بلدة القوصية .

.....  
(١) هو المعروف عادة بأنه أعظم ملوك الهيكسوس لأن معظم آثاره وجدت ليس في مصر لحسب بل في جزيرة كريت وفي فلسطين وبغداد ، فمن انتشار آثار الملك خيان بهذه الكيفية استنتج بعض العلماء ومن بينهم ماير وبريستيد أن امبراطورية الهيكسوس كانت ضخمة ممتدة من الفرات إلى الشلال الاول . والبعض قال إن ملك خيان لم يشمل جميع هذه الارحاء وإنما امتد نفوذه اليها ، والحق أن لا هذا ولا ذاك .

ثم أننا نجد تميزاً لهذا الرأي في إدارة الحكومة في الأسرة النامنة عشرة أي بعد طرد الهيكسوس مباشرة. فالمنطقة من بلدة الفنتين إلى ما بعد أسيوط بقليل أي إلى ما يقرب من القوصية كانت من اختصاص أحد الوزراء، ثم من القوصية إلى أعلى الدلتا كانت من اختصاص وزير آخر.

فالرأي أن المنطقة من الشمال إلى القوصية هي المنطقة التي استولى عليها الهيكسوس لا سيما وإننا نعلم أنه كان بين المنطقتين حدوداً معينة ترجع إلى ما قبل عصر الهيكسوس فوقف عندها تقدمهم في أغلب الظن. ونجد هذا التقسيم يستمر إلى ما بعد عصر الهيكسوس فقد استمر إلى عصر الملك بعنخي مما يدلنا على أن هذا التقسيم كان مهماً وأن هذه الحصون يصعب اقتحامها.

ومن ظريف ما يروى في هذا الصدد أن اسم أسيوط بالمصرية القديمة معناه «الحارس» وهذا مما يؤيد وجهة نظرنا ويرينا كيف تمتزج السياسة بالدين.

وهناك سبب آخر يؤيد القول بأن الهيكسوس لم يستولوا على مصر بأجمعها ذلك أننا نعلم تمام العلم أن هناك ملوكاً وطنيين جعلوا مقرهم في طيبة وطرّدوا الهيكسوس من مصر كما سنرى فيما بعد.

ومن الطبعي أن طيبة كان لها ملوكها المصريون طيلة عهد الهيكسوس فكان هناك في الواقع فريقان: فريق الشمال وهم الهيكسوس الذين حكموا حتى بلدة القوصية، وفريق آخر مصري حكم من الفنتين إلى القوصية، وبذلك تكون غزوة الهيكسوس قد اقتضرت على الدلتا حتى بلدة القوصية.

### مطاردة الهيكسوس في مصر

جازت هذه المرحلة أدواراً كثيرة أهمها:

ما وصل إلينا من عهد الملك «سقن رع» الملقب «قن» أحد ملوك الأسرة السابعة عشرة. والدور الذي لعبه ذلك الملك في مطاردة الهيكسوس مذكور في بردية سالبيه بالمتحف البريطاني، ثم ما ورد في لوحة ممرونة بلوحة كارنافون بالمتحف المصري، وهي لوحة تدعى

كتب عليها بالهيراطيقية ملخص الحرب التي دارت بين الملك كامس والهيكسوس، ثم النص الذي يحددنا فيه القائد أحس بن أبانا عما قام به الملك أحس الأول في سبيل طرد الهيكسوس من مصر .

أما المصدر الأول فيذكر ان الملك « سقن رع » كان ملكاً على افليم طيبة وكان يعاصره ملك من الهيكسوس يدعى « ابوفيس » . وقد جمع ابوفيس في أحد الايام كبار قومه وتحدث معهم وربما كان الحديث حول تدبير مؤامرة لاغتيال الملك « سقن رع » وها هو ذا جزء من هذه النصوص تدلنا ترجمته على ما ذهبنا اليه : « ... انقضى زمن طويل بعد ذلك، فأرسل الملك ابوفيس الى الملك « سقن رع » بالعاصمة الجنوبية (طيبة) رسالة ولما وصل رسل الملك أبوفيس الى طيبة أحضروا الى ملكها — فسأل أحد رسل الملك أبوفيس هذا السؤال : لماذا جئت الى العاصمة الجنوبية ولأي سبب صافرت مع زملائك طوال هذه المدة ؟

فأجاب أن الملك ابوفيس أرسلنا اليكم لنخبركم بأن دب البحر الساكن في بحيرة طيبة يمنع جلالته من النوم نهاراً وليلاً وصياحه يزعج أذني الملك » . « حزن الملك سقن رع وتألم ولم يرد الجواب . ثم عاد رسول الملك ابوفيس الى سيده ... » ومن سياق الكلام نفسه نعلم انه على أثر ذهاب رسول ابوفيس الى سيده دعا سقن رع قواده ورؤساء حكومته وأخبرهم برسالة الملك أبوفيس فسكتوا جميعاً ولم ينطقوا بكلمة واحدة (وهنا سقط الأصل) ولم تكمل القصة التي كانت تحوي كثيراً من المعلومات التاريخية .

فن الجائز أن يكون رسل الملك أبوفيس عبارة عن أفراد عصابة أرسلها الملك لاغتيال حياة « سقن رع » ولما خابوا في مهمتهم عادوا بعد أن اختلقوا الحيل ولفقوا الأسباب التي من أجلها أرسلهم ملكهم . كذلك نعلم أن جثة هذا الملك « سقن رع » وجدت في معبد الدير البحري وفيها آثار جروح نتيجة ضربات مميتة فهل معنى ذلك أن هناك مؤامرة دبرت لاغتيال هذا الملك العظيم ؟ أم أنه سقط صريعاً في ميدان القتال ثم أُنقذ أحد أتباعه جثته من العدو ؟ أرجح شخصياً الرأي الثاني وذلك لأن آثار الجهاد واضحة في جثة هذا الملك وهذا ما يحملنا على الظن أنه ناز على الغزاة وأوقد الحمية في صدور شعبه، فقاموا قومة رجل واحد

ليطردوا الهيكسوس من مصر . ويؤيد ذلك أن خليفة هذا الملك وهو ابنه كامس واصل الحرب ضد الهيكسوس .

أما المصدر الثاني وهو لوحة كارنافون فقد عرفنا تفاصيلها عند ما تكلمنا عما وقع تحت حكم الهيكسوس من المناطق المصرية .

والمصدر الثالث عبارة عن نص القائد البحري أحسن بن أبانا . إسمه أبانا نسبةً الى اسم أمه وقد كان ذلك شائعاً عند قدماء المصريين مما يبين لنا مركز المرأة قديماً . أما إسم والده فقد كان « بابا » وقد كان بابا والد القائد أحسن هذا معاصراً للملك متقن رع .

وقد ظهر هذا القائد في المرحلة الأخيرة من مطاردة الهيكسوس وحاش في بلدة السكاب . وقد بدأ حياته العملية أيام الملك أحسن الأول الذي عينه قائداً في إحدى السفن . والذي يهمننا في نص هذا القائد <sup>(١)</sup> من الوجهة التاريخية في موضوع مطاردة الهيكسوس هو ما يأتي : « ... كنت اتبع الملك ماشياً عندما ركب عجلته وعند ما حاصر الملك بلدة حات وعرت ( هوارس ) وقد أظهرت شجاعة على قديمي ماشياً أمام جلاته وبعد ذلك رقاني ( جلاته ) الى السفينة المسماة « خع ام من نقر » ثم حارب الملك على مياه قناة باجودكو الواقعة جهة حات وعرت ( هوارس ) ثم حاربت وأحضرت يداً وبُليت هذه المسألة الى كاتب سر الملك فأُنعم عليّ بعد ذلك بذهب الشجاعة ، وحارب الملك بعد ذلك في أجواء مصر الواقعة في جنوبي هذه البلدة » .

وقد اختلف العلماء فيما هو المقصود من البلدة التي حارب الملك جنوبيها فبعضهم يقول إن المقصود بها « بلدة هوارس » المذكورة في النص ، والبعض الآخر يقول إنها بلدة السكاب حيث مقبرة هذا الموظف الذي كتب لنا عن تاريخ حياته . وأرجح أنا شخصياً الرأي الثاني لأنه ليس من المعقول أن تنور مصر كلها في هذا الوقت العصيب ضد الملك أحسن الأول . فالمقصود إذن هي مدينة السكاب . ويستنتج من ذلك أيضاً استمرار إغارة النوبيين على مصر .

وقد جاء في نفس نصوص هذه المقبرة ذكر تلك الإغارة التي كانت في عهد الملك الذي

(١) K. Sethe, Urkunden der 18. Dynastie

سبق أحس وهو كأمس . « وبعد ذلك استولى الملك على مدينة حات وعرت ( هوارس )  
وكننت قد أحضرت من هناك غنيمة رجل واحد وثلاث نسوة أي أربع رؤوس ( أمري ) »  
ثم يستمر النص فيقول : « وقد أعطاهم جلالته إياهم كعبيد » ثم حاصر الملك بلدة  
شاروهن مدة ثلاث سنوات واستولى جلالته عليها »

فن هذا النص نستنتج محاصرة الملك بلدة هوارس عاصمة الهيكسوس ثم استيلاءه عليها  
وبعد ذلك مطاردته الهيكسوس في عقر دارهم ومحاصرته بلدة شاروهن بعد أن أتعبههم  
الملك إليها ثم استولى عليها بعد محاصرتها ثلاثة أعوام . وهذا مهم من الوجهة التاريخية إذ  
يبين لنا أن أحس الأول طرد الهيكسوس من مصر بعد أن استولى على عاصمتهم ثم طاردهم  
إلى جنوب فلسطين .

وبذلك نختم الجزء التاريخي الذي يهمنا في مطاردة الهيكسوس من نص القائد أحس  
ابن أبانا .

وبحكم الملك أحس الأول ينتهي حكم الهيكسوس ويعتلي ملوك طيبة ثانية عرش مصر  
ويبدأ تاريخ عصر هام تحقق فيه توحيد مصر من جديد وهو ما نسميه « بعصر الوحدة  
الثالثة » و « المسمى بعصر الدولة الحديثة » طبقاً لما هو شائع . وذلك لأنه على يدي أحس  
الأول تمت مطاردة الهيكسوس من البلاد المصرية وعلى يديه كذلك رجعت إلى مصر الوحدة  
القومية لأن حرب مطاردة الهيكسوس لم تكن حرب استقلال فقط بل هي أيضاً فرصة  
اغتنمها ملوك طيبة لكي يسيطروا على القطر المصري بأجمعه . وقد تم لهم ذلك على يد حميدم  
الملك أحس الأول . وهنا نرى ظهور نفوذ طيبة السياسي للمرة الثانية بعد أن ظهر أولاً  
في أيام الدولة الوسطى ولم يكن أبرز الأشياء في هذا العهد انتصار فراعنة على آخرين وإنما  
كان مطاردتهم شعباً أجنبيّاً .

وبالرغم من الأضرار التي حادت على مصر من حكم الهيكسوس من تفكك في الإدارة  
وتصدع الوحدة إلا أن المصريين جنوا من عصر هؤلاء المغيرين الفوائد الآتية :

عند مطاردة الهيكسوس أخذت مصر تتطلع إلى البلاد الآسيوية المجاورة لها ولا سيما  
فلسطين وسوريا وأصبحت جزءاً من مصر أي نظرت إليها كأجزاء لا يمكن الاستغناء عنها

وبذلك أصبحت مصر أمة غير منزلة عن باقي العالم وأصبح لها مقام دولي طمَّ حدد في مراسلات أو معاهدات دولية . كذلك كان لغزو الهيكسوس لمصر . زايلا يمكن استكشافها ظهرت آثارها فيما بعد ظهوراً واضحاً بما أثره من رخاء . فضلاً استنفاد المصريون أشياء كثيرة أثرت في الصناعة المصرية ومنها صناعة العربات التي كانت سبباً في تعلم المصري هذه الصناعة وتوقيتها وتشغيل الأيدي العاملة من المصريين والسودانيين فيها بعد وما يتبع ذلك من عمل الجلود وغيره للعربة والاعبياد وهناك كذلك صناعة أخرى هي صناعة الأسلحة ولا سيما الخناجر فبذلك زادت أعمال الشعب المصري في هاتين الصناعتين .

ومن مميزات غزو الهيكسوس لمصر إنشاء جيش نظامي دائم مجهز بالأسلحة ومزوّد لأول مرة في تاريخ مصر القديم بالاعبياد والعربات الحربية وذلك لأن الهيكسوس هم أول من أدخل الجواد والعربة في مصر ، وزيادة على ذلك استنفاد المصريون أثناء وجود الهيكسوس في مصر استعمال الجواد والعربة في الحروب فتعلموا من الهيكسوس الفنون الحربية وطرق الكفاح المختلفة فناروا في وجه الغزاة كما تقدم ثورة موفقة وعلى ذلك كان حكم الهيكسوس في مصر من العوامل التي قوت في الشعب المصري لأول مرة في تاريخه روح الكفاح .

طلب الحرية فنالها ثم عرف طعم الحرب وتذوق معنى الانتصار فخرج من مصر يطلب الغزو والحرب فتولدت في الشعب المصري روح الاستعمار . ومن الطبيعي أن يتبع ذلك كثرة الوظائف الحربية والمدنية التي وجود أبادر عاملة في مصر وفي خارجها وقد استنتجنا ذلك من الانقلاب التي كان أكثرها غير معروف قبل عصر الهيكسوس

وكان المصريون يفخرون بوظائفهم الحربية وقد أشارت الى ذلك نقوشهم وازداد تجميع الملوك للقواد الحربيين فأعطوا الأراضي ومنحوا النياشين بل فرض أغاب ملوك عصر الوحدة الثالثة على أولياء عهدهم دراسة الفنون الحربية في مدرسة أو كلية أنشئت خصيصاً لذلك في منف<sup>(١)</sup> بل أكثر من ذلك فقد فرض على أولياء العهد أن يتولوا إدارة مصنع بناء السفن والأسطول ( دار الصنعة ) الذي أنشئ في هذا العصر على مقربة

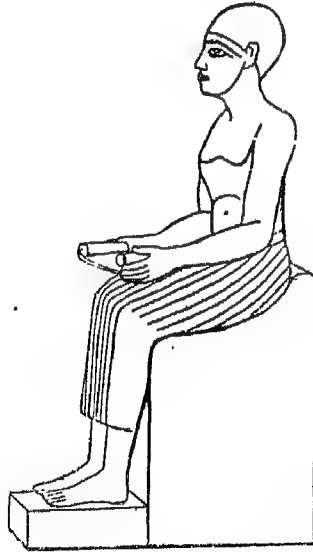
.....  
(1) Helck, Der Einfluss der Militärführer



من منف . ونذكر هنا أن ولي العهد المنحجب بن الملك تحتمس الثالث وهو الذي عرف فيما بعد باسم الملك المنحجب الثاني كان يشرف على إدارة مصنع بناء السفن والاسطول<sup>(١)</sup> . وكذلك كان من نتيجة غزو الهيكسوس مصر تأسيس امبراطورية مقرامية الأطراف تدفقت الخيرات منها على مصر كما تدفقت الاموال على بيت فرعون فعمم الرخاء وازدادت موارد مصر كثيراً مما أدى الى تقدم المدنية المصرية .

وكان من الفوائد والمميزات الكثيرة التي عادت على مصر بالخير أيضاً بعد غزوة الهيكسوس ظهور عبه انقلاب في السياسة وفي الحالة الاجتماعية حتى ادجت في اللغة المصرية نفسها كلمات كنعانية كثيرة .

.....  
(١) Glanville, Aeg. Zeitschrift, 66.



الوزير اعحوب اله الطب

## الملك ايخ - إن - آتون<sup>(١)</sup>

الملك ايخ - إن - آتون ، أو كما يسميه كثير من كتّاب التاريخ المصري القديم ، اخناتون على سبيل التخفيف هو ابن الملك امنحتب الثالث من زوجته « تي » التي اختارها الملك من طبقة الشعب المصري لا الاسيوي ، كما زعم بعض المؤرخين ، فهي كريمة الابوين المصريين يويا وتويا .

وأهم دافع حفزي للبحث في هذا الموضوع هو دراسة نظام الحكم في عصر هذا الملك وسابقه من ملوك عصر الوحدة الثالثة ( الدولة الحديثة ) وبيان مبالغ سلطة هؤلاء الملوك : أكانت استبدادية مطلقة حقاً كما يقول المؤرخون أمثال بريستد وماير ويونكر وموريه وبيري وسائر الباحثين ، أم أن الرأي بعكس ذلك كما انتهت اليه بحوثي وعلى ما سأعرضه الآن كان نظام الحكم في مصر القديمة يتوقف على مقدار ما تنصف به سلطة الملك من القوة والضعف . وإذا عرفنا أن الحكومة والملك شيء واحد ، وأن الحكومة قديماً كانت تتمثل في شخص واحد هو الملك وتجميع في شخصه مختلف السلطات ، أدركنا أن الحكومات كانت تتغير حسب سلطة الملك قوة وضعفاً فتصبح مطلقة أو مقيدة بقوة أخرى ، وهذه الظاهرة لم تقتصر على عصور الفراعنة المصريين ، بل نجد ما يشابهها في فرنسا في زمن الملك لويس الرابع عشر حينما ابتدع نظرية « الحكومة أنا وأنا الحكومة » .

والرأي السائد حتى الآن بين العلماء والباحثين أن سلطة الملوك في الفترة بين احمس الاول وايخ - إن - آتون كانت استبدادية مطلقة وأن نفوذ الأمراء زال تماماً تبعاً لانضوائهم في خدمة الملك كمدبرين لمقاطعاتهم .

ولكن عند التعمق في دراسة هذا العصر وبجهد الناحص المدقق أن هناك مشكلة دقيقة تواجه المؤرخ وهي هل كانت سلطة الملك ايخ - إن - آتون ومن سبقه من ملوك

(١) زوجته الملكة نفرتيتي « احبة اتمثال الجبل المشهور بمحفف براين » ، ونفرتيتي معناها باللغة الندية « الجميلة انت » .

عصر الوحدة الثالثة استبدادية مطلقة ، أم كانت سلطتهم يضعفها وجود نظام اقطاعي خاص ؟  
وبعبارة أخرى هل كان الملك ايبخ - إن - آتون ومن سبقه من ملوك عصر الوحدة  
الثالثة منذ أيام تحتمس الثالث في قوتهم وسلطانهم كما يظهرهم التاريخ هم الواضعون لأساس  
النظام الاقطاعي الذي ظهر جلياً في عهد الملوك الذين تولوا الحكم بعد تحتمس الثالث بحيث  
انه عند ما تولى ايبخ - إن - آتون الملك . ورث النظام الاقطاعي الخاص الذي كان على أيام  
سابقه ، والذي قيّد من سلطتهم ، خلافاً لما كان معروفاً عنهم من قبل ؟

للإجابة على هذا السؤال يجب أن نرجع قليلاً إلى الوراء ، فنجد أنه يمكننا القول ان  
الملوك المصريين القدماء لم تبلغ سلطتهم من القوة مثل ما بلغت في عهد الملك احس الأول  
ومن تلاه من الملوك حتى عهد تحتمس الثالث ( لأنهم أصحاب الفضل في تخليص مصر من  
أيدي الغزاة فأمكنهم أن يركزوا في أيديهم كل السلطات المختلفة في مقر عاصمتهم طيبة ) .  
ولكن من سوء الحظ كان الملك احس ومن خلفه من الملوك على عرش مصر يمنح الآلهة  
المتعددة في مختلف الأقاليم ( أمثال آمون في طيبة ورع في عين شمس وبتاح في منف وهكذا )  
أراضٍ يجعل ملكيتها باسم الآلهة المختلفة ويلحق بها امتيازات كان الملوك يعتبرونها في  
بادئ الأمر اعترافاً بحجم هذه الآلهة على ما نالوه من نصر في حروبهم أو بعثاتهم .  
وهنا نرى شيئين خطيرين . أولاً : ان الملوك وهبوا أراضٍ واسعة للآلهة في مختلف  
الأقاليم . ثانياً : ان الملوك أعفوا هذه الأراضي من الضرائب بل وأضافوا اليها امتيازات  
أخرى .

\*\*\*

وقد زادت هذه الأراضي زيادة غير منتظرة ولم يصبح منحها اعترافاً بالجميل للآلهة ، بل  
أصبح دليلاً على الضعف والتودد وانعكست الآية في عهد الملوك اللاحقين لعصر تحتمس  
الثالث ، فلم يعد الكهنة خاضعين لسلطان الملك كما كانوا في أول الأمر بل شعروا بنفوذهم  
وسلطتهم الذي أخذ في الازدياد في الوقت الذي أخذ فيه سلطان الملوك يضعف ويتقلص .  
فما بوادر هذا الضعف من جانب الملوك وما هي مظاهر هذا الجاه وتلك السطوة من  
جانب رجال الدين ؟

(أولاً) : لم تصبح إدارة المعابد بعد خاضعة لإدارة الحكومة المركزية كما كانت من قبل ، بل استقلت عنها تماماً . وبالتالي أصبح موظفو هذه المعابد ومديروها من الموظفين الدينيين تحت إمرة رئيس الكهنة في كل معبد . وكانت إدارة هذه المعابد وأملأها تتناول كثيراً من النواحي الزراعية والصناعية والفنية والاقتصادية والعلمية .

فن الناحية الزراعية كان عدد كبير من العمال يعمل في زراعة الأرض والري والحصاد وتربية المواشي وحقن الترع وغرس الحقول والحدائق بالمحكمة والاعشاب . ومن الناحية الصناعية كان عدد كبير يعمل في مستخرجات الماشية ومستخرجات السكروم وغيرها مثل عمال النسيج وعمال النسيج . ومن الناحية الفنية كان عدد كبير يعمل في بناء المعابد وملحقاتها وهندستها وفي النقش والنحت والرسم .

ومن الناحية العلمية ، كان عدد كبير أيضاً يعمل في علوم الدين وعلوم الفلك وفي الطب وشؤون الكتابة والقضاء والهندسة والكيمياء والرياضيات . . . أضيف إلى ذلك أن جمهوراً عظيماً لا يستهان بعدده من الرجال ، كان يعمل في كل معبد من هذه المعابد وملحقاتها في أعمال تتصل بالخبازة والحلاقة ومنهم الحلواني وصانع النعال والصائغ وحارق البخور وغالي الزيت وحامل المياه ومقدم القرابين . يضاف إلى هؤلاء أيضاً أنواع من الخدم كالخارس والبواب .

أما فيما يختص بمدينة الأموات التابعة لكل رئيس كهنة فادارتها معروف أمرها للجميع . ولم يكتف رجال الدين برعاية شؤون الدين وإدارة معابدهم بل كانت لهم في كثير من الأحيان صلات وثيقة بكثير من الأعمال الحكومية أو بعض المهام الملكية ، فكثيراً ما كانوا يندبون لإدارتها أو للإشراف عليها . ولعل من أهم الأمثلة التي تؤيد ذلك ما يلاحظ على ألقاب السكاهن الأكبر « حابو سنب » .

بل وأكثر من ذلك أصبح منصب رئيس الكهنة وراثياً ، فكان الخلف يعقب السلف دون أن يقوم نزاع أو خلاف كالذي كان يقوم عادةً بالنسبة لتوارث الملك في ذلك الزمن .

وأظهر مثل لدينا على هذا كبير كهنة منف الذي مثل سلالة على احدى الجدران في أربعة صفوف في كل صف منها خمسة عشر كاهناً من أفراد أسرته ، وظلوا جميعاً متربعين في متصبب الرياضة الدينية في منف ما يقرب من ألف وثلاثمائة عام تقريباً . وهناك قطعة أثرية أخرى بمتحف كوبنهاجن تمثل توارث كهنة عين شمس على هذا النسق .

أما كهنة آمون فقد نشر عنهم « لا فيفر » الكثير كما هو معروف للجميع . زد إلى ذلك أن سلطة الرئيس الديني لا تنتهي ب وفاة الملك المعاصر له بل تستمر ولا تعتبر منتهية إلا ب وفاة هذا الرئيس . وربما ازدادت بما يصيبهم من ثراء على أيدي الملك اللاحق ، وبما يصيبهم من امتيازات جديدة وهدايا جديدة بصرف النظر عما وهبه لهم أسلافه . فيكدسون بذلك الأحجار الثمينة والذهب وتساكن الأراضى والمواشي ويزداد عدد اتباع كل معبد . ولم يكتف الرؤساء الدينيون بكل ما نالوه من هذه الامتيازات بل أطلقوا على أنفسهم لقب أمير « حاتي » فذهبوا بحكم المقاطعات في ألقابهم وفي نفوذهم .

(ثانياً) بينما أن طبقات الكهنة أصبحت مستقلة عن السلطة المركزية . ولهذا الاستقلال مظاهر متعددة فمن الناحية السياسية تدرج الأمر برؤساء المعابد إلى أن أصبحوا في وقت واحد يجمعون بين مناصبي « الرئيس الديني لجميع معابد الآلهة في مصر العليا والسفلى » ومنصب « الوزير » وهو رئيس الدولة بعد الملك مباشرة أي أنه قد تطور نفوذ رجال الدين بالتدرج حتى أمكنهم الجمع بين السلطتين الدينية والزمنية أو الجمع بين السياسة والدين ويحدثنا التاريخ أن « بتاح مس » كبير كهنة بتاح منف في عصر الملك أمنمحتب الثالث جمع بين الوزارة ورئاسة كهنة بتاح منف ، كما أن « حابوصنب » كبير كهنة آمون في عصر الملك « حاشبوسوت » قد جمع أيضاً بين الوزارة ورئاسة كهنة آمون بطيبة .

فأصبح رؤساء المعابد بذلك يهتكون اعتباراً كـاً فعلياً في حكم البلاد مع الملك . ومن الناحية الادارية كان يقوم بادارة هذه المعابد وأملاكها من ضياع ومصانع وغيرها رجال دينيون يخضعون مباشرةً للرئيس الديني الأعلى للعبد لا للسلطة المركزية . وكان اختصاص هذا الرئيس يتسع ويضيق تبعاً لمقدار انتشار عبادة الآلهة القائم بعبادته وخدمته ومن الناحية الاقتصادية كانت معابدهم وما تمتلك من أرض وحيوان معفاة هي وباقي

الموارد من الضرائب سنوياً ، كما أن ميزانية هذه المعابد كانت منفصلة عن الميزانية العامة للدولة انفصالاً تاماً ، فكان لهذه المعابد بيوت للذهب ، وبيوت للفضة خاصة ، ومخازن لغالل خاصة ، ومراكب خاصة لجلب الدخل والظيرات من البلاد التابعة لهذه المعابد ، غير بيوت الذهب والفضة ومخازن ومراكب الحكومة .

ومن الناحية الاجتماعية ، دللتنا النقوش على أن رؤساء المعابد كان لهم المقام الأول والاعتبار الأعظم . كما أن المعابد كانت تعتبر في ذلك الوقت بمثابة معاهد ثقافية تشيه دور العلم أو الجامعات في وقتنا هذا ، وكان الرؤساء الدينيون يعتبرون كعمداء لهذه المعابد . ومن الناحية القضائية كانت تعمل رجال الدين في مختلف المحاكم .

أما وقد رأينا الآن ما انتهى إليه أمر هؤلاء الرؤساء الدينيين ، الذين يحق لنا أن نسميهم الكهنة الأمراء ، من سلطان مطلق في إدارة معابدهم وعلى الشؤون المتعلقة بالمالية والقضاء .

نخرج بنتيجة واحدة وهي أن نفوذ هؤلاء الكهنة الأمراء طغى على نفوذ الملك وأتضاءلت هيبة الملك بمجوار هيبتهم — فحق لنا أن نسمي هذه المعابد بدويلات داخل الدولة المصرية ، وإن نسمي هؤلاء الرؤساء الدينيين « الكهنة الأمراء » .

وكان طبيعياً ، وقد شهبنا هذه المعابد بدويلات ، أن يكون لكل منها بوليس خاص لمراقبة جميع الأعمال والأعمال ولحفظ الأمن .

وكذلك كان طبيعياً أن يكون لكل منها جيش خاص يذود عنها ويدفع عنها اعتداءات المغيرين ، فكان وجود هذه الجيوش مما يقوي من هيبة الرؤساء الدينيين ويضعف من هيبة الملك .

زد إلى ذلك أن رؤساء المعابد كانوا هم رؤساء الجيوش ، في حين أن القاعدة أن الملك هو الرئيس الأعلى للجيش .

أصبح السكاهن الأعلى لكل معبد ، أو رئيس كل دويلة ، يزاحم الملك سلطته وسلطانته على البلاد .

فليس غريباً بعد ذلك ما رأيناه من مختلف المظاهر لازدياد سلطة الكهنة الأمراء ، أن

نحس بانكماش سلطان الملك وتضاؤل سلطته في هذه النواحي المتعددة التي سبق أن تكلمنا عليها .

وأخيراً يجب ان نطرح السؤال الآتي : ما هي أركان النظام الاقطاعي وأهم خواصه وما مدى توافقه وانطباقها مع ما انتهى اليه حال الأمة والدولة المصرية وكهنتها عندما ورث الملك ايخ — ان — آتون عرش مصر ؟

إن خواص النظام الاقطاعي وأركانه تنحصر في أربعة أمور رئيسية : —

( أولاً ) — الامارة : وقد رأينا ان الرئيس الديني انتهى الأمر به الى لقب أمير ( ثانياً ) — التوارث : وقد أصبح منصب الرئيس الديني وراثياً يتوارثه أولاده ثم أحفاده دون نزاع أو خلاف .

( ثالثاً ) — التعدد : وقد كان عدد هذه المعابد وممتلكاتها يزيد للآله الواحد في جهات مختلفة . فلما جاء ايخ — أن — آتون وجد عددها منتشراً في أجزاء مختلفة من أقاليم القطر المصري .

( رابعاً ) — الانفصال عن السلطة المركزية : وقد بينا سابقاً أن هذه المعابد كانت منفصلة عن السلطة المركزية من جميع نواحي النشاط السياسي والاداري والمالي والقضائي والحربي والعسكري والاجتماعي والاقتصادي .

\*\*\*

من هذه الخواص مجتمعة ومما رأيناه من انطباقها وتوافقها على ما كانت عليه الأمة المصرية ، وما وصلت اليه حال الكهنة حتى عهد الملك ايخ — ان — آتون يمكننا القول أن كلمة « نظام اقطاعي » تنطبق على هذه التركة التي ورثها الملك ايخ — ان — آتون مع فارق فني بسيط ، وهو أن هذا النوع الجديد من النظام الاقطاعي كان لأمر المعابد بدلاً من أمراء المقاطعات المدنيين وذلك النظام الجديد من النظام الاقطاعي في هذا العهد يمكن تسميته بالانجليزية Temple Feudal System وبالفرنسية Féodalité de Temple وبالألمانية Templarfurstentum « والعربية اقطاعيات المعابد » لأنه في هذا النظام الجديد حل المعبد وممتلكاته محل المقاطعة وممتلكاتها وحل الأمير الديني محل الأمير المدني .

والملاحظ أن هذه الظاهرة الجديدة ليست قاصرة على عهد الملك اينخ - إن - آتون  
 فحسب ، بل إننا نجد لها نظيراً في كثير من العهود الفرعونية الأخرى .  
 ولما جاء اينخ - إن - آتون إلى العرش أخيراً وجد الحال كما بينا ، وهو حال من  
 النظام الاقطاعي الخاص ، جعل الملك الشاب لا يستسيغه بل وينتهز الفرص للإيقاع بهؤلاء  
 الأمراء الكهنة الذين أصبحوا خطراً على ملكه ، فشاء أن يتحرر من قيود هذا النظام  
 الاقطاعي الذي ورثه عن أسلافه ، فنار ثورته المعروفة في السنة السادسة من حكمه حوالي  
 سنة ١٣٧٧ قبل الميلاد ليتخلص من أولئك الكهنة الأمراء ومن ملطائهم ، بل ومن معبوداتهم  
 وكثيراً ما تلعب السياسة دورها تحت ستار من الدين .





## منصب الوزير

في مصر الفرعونية

جرت عادة ملوك مصر الأقدمين على أن يلقوا عبء الإجراءات الحكومية من إدارية وقضائية ومالية وحربية على حاتق أكبر موظف في الدولة وهو الوزير ، وكان يسمى باللغة المصرية القديمة « ثات » .

وكان لمن يشغل منصب الوزير من الأهمية والسلطان قدر كبير ، وذلك لأن الوزير كان هو رجل الدولة الأول الذي يلي الملك مباشرة في الأهمية والنفوذ والسلطان . ولأن الوزير كان بمثابة حلقة الاتصال بين الملك وبين الإدارات المختلفة ، سواء في العاصمة أم في الأقاليم .

وبسبب هذه الأهمية التي كانت للوزير كان ينتخب من أعرق العائلات المخضبة للعرش المتفانية في ولائها وخدمتها له ، بل كان يعين أحياناً من أولياء العهد ، أو أبناء الملك ، أو أقارب الملك في بعض العصور ، وفي عصور أخرى كانت وظيفة الوزير وراثية . وفي ظروف خاصة جمع بعض الوزراء بين منصب الوزير ومنصب رئاسة كهنة إله الدولة الرسمي . وأقدم من ذكر من الوزراء وزير الملك مينا ( تعرم ) : الموحّد الأول لمصر القديمة ومؤسس الدولة القديمة ( عصر وحدة وادي النيل الأولى ) وقد جرت العادة في العصور الأولى من تاريخ الحضارة المصرية القديمة أن يكون وزير واحد للملك والدولة .

وبابتداء عصر الوحدة الثانية ( الدولة الوسطى ) نجد على الأرجح ظاهرة جديدة في تاريخ ملوك مصر الأقدمين ، وهو أن اثنين من الوزراء يعاونان الملك في وقت واحد . ولكن نصوص هذا العصر لا ترينا تحديداً للاختصاص ، ولكن من الثابت أن الشؤون

المصرية القديمة لهملكة الفرعونية قد زادت في هذا العصر نتيجة لازدياد الفتوح الأجنبية ، مما يدل على أن الحاجة كانت ماسة لأكثر من وزير .

أما في عصر الوحدة الثالثة ( الدولة الحديثة ) ، فقد وصلتنا نقوش ونصوص كثيرة تعطينا فكرة من مهام الوزير ، فقد كان لمصر وزيران أحدهما للشمال ، واختصاصه المنطقة التي تمتد من شمال أسبوط حتى البحر المتوسط ، والآخر للجنوب ، ومنطقته تمتد من جنوب أسبوط حتى حدود مصر الجنوبية . وكان مركز الأول عين شمس أو منف أو تانس ( بر رمسيس ) ، والثاني كان مركزه طيبة .

وأهم المعلومات عن منصب الوزير يمكن استقائها من النقوش والنصوص المدونة على جدران مقبرة رخمى رع الذي كان وزيراً للملك تحتمس الثالث ، وأوائل عصر الملك امنمحتب الثاني ، فمن نتائج منها أن الملك هو الذي له حق تعيين الوزير . وكما أن الملك حق تعيين الوزير فله الحق أيضاً في عزله كما دلت نصوص أخرى على ذلك .

ومن الطريف أن الملك تحتمس الثالث عند تعيينه رخمى رع في منصب الوزارة للجنوب أمدى إليه الإرشاد ونصحه نصائح جليلة . وقد دلتنا النصوص على أن هذه التعليمات التي كان يقولها الملك لوزرائه كانت تقليدية ، إذ وجدناها تقال عند تعيين كل وزير فقد عثرنا في مقبرة الوزير أوسر ، خال الوزير رخمى رع ، على نصوص تؤيد ذلك ، كما وجدناها قد وجهت إلى الوزير جابو وزير الملك تحتمس الرابع ، من ذلك على سبيل المثال قولهم : « كن يقطاً لكل ما يجري في الوزارة . وإذا أتاك مشك فإعجب عليك أن تبحث بنفسك في شكائته ، حاملاً حسب القانون . ولتتبع الحق وتعلم أن غضب الإله يحل على من يؤثر المحاجة ... لتكن معاملتك لمن لا تعرفه مثل معاملتك من تعرفه ، ولمن هو قريب منك مثل من هو بعيد عنك » . وزيادة على تعليمات الملك لوزيريه بأن يحكم بالعدل ، وبالألحاحي أهدأ كان يرشده إلى ما يجب اتخاذه يومئذ . فبدأ الوزير عمله في كل صباح بأن يقابل الملك ويعرض عليه المسائل الحكومية لكي يبدى فيها رأيه . ومن هذا نرى أن الملك كان هو الرأس المفكرة العليا التي تدير سياسة البلاد .

وفي أثناء مقابلة الوزير للملك يكون رئيس المالية منتظراً عند إحدى هاربات القصر .

فإذا خرج الوزير تداول معه في أمور الدولة . ثم بعد ذلك يدخل رئيس المالية على الملك ويعرض عليه الشؤون المالية وما اعترى خزانة الدولة من نقص أو زيادة ( وطبيعي كانت في شكل مواد أولية كالأخشاب والخضر والجلود والأقشة وما أشبهه ) . وبعد ذلك يأمر الملك بفتح دواوين المصالح الحكومية مما يدل على أن الملك كان يرشد كل وزير على ما يجب أن يبت فيه من أمور تهمة وتهمة الدولة المصرية القديمة .

وفضلاً عن إشراف الملك على وزير المالية ، فقد كان هذا الوزير تحت رقابة ورئاسة الوزير الأول للدولة الذي كان يعتبر عندئذ كرئيس الوزراء الآن . إذ دلتنا النصوص على أنه كان يكتب التقارير للوزير الأول باستمرار ليطلع على الحالة المالية العامة للدولة .

وقد كان لمنصب الوزير الأول للدولة في هذه العصور القديمة من الأهمية الكبرى والمكانة العظمى ما لمنصب رئيس الوزارة في العصور الحالية . فقد كان الرئيس الأعلى للقضاء . ففي مقبرة رمخي رع نجد رمما لمجموعة قوانين مطوية في أربعين ملفاً بردياً محفوظاً داخل أغلفة من الجلد وموضوعة أمام الوزير بصفته القاضي الأعظم « ساب سبختي » وهو جالس في دار المحكمة في إحدى الجلسات العلنية . ( مع ملاحظة أن المرجع الأخير للمسائل الجنائية كان الملك ، والمرجع الأخير في المسائل المدنية كان الوزير . وحتى في عصرنا الحاضر نجد العقوف في المسائل الجنائية من حق جلالة الملك ) .

كما كان وزير الحربية ، وبصفته هذه ، يشرف على الجيش والأسطول ، وبمعنى آخر كان الرئيس الأعلى للجيش البرية والبحرية . وكان لمصر أسطول عظيم مطرف في سجل التاريخ انتصارات كبيرة . وكان الوزير أيضاً المشرف على الشؤون الداخلية ، وكان بهذه الصفة رئيساً للبوليس في منطقة اختصاصه ومحافظة للعاصمة .

ثم كان أخيراً المشرف على الشؤون الزراعية .

نرى من كل ما سبق مبلغ ما كانت عليه مصر القديمة من رقي ومدنية في الحضارة ، وترتيب وتنظيم في الشؤون الإدارية ، ودقة ومهارة في تكييف الأمور والتصرف فيها .

## حاكم السودان العام

في تاريخ مصر الفرعونية

من طريف ما يحدثننا به التاريخ إنه عند تولي الملك تحتمس الأول عرش الوادي حوالي سنة ١٥٣٧ قبل الميلاد في ظلال الوحدة أرادت الحكومة المصرية ارسال نبأ تولية الملك الجديد على عرش الوادي فكتبت ما معناه : ( أمر ملكي إلى حاكم السودان العام المدعو تورى لكي يعلم ان جلالة الملك تحتمس ملك الشمال والجنوب وينشر ألقابه ويعلم ان حلف اليمين أصبح باسم الملك تحتمس )

وكان يلقب حاكم السودان العام بلقب الابن الملكي للسودان وليست كلمة ابن هنا معناها ان يكون الحاكم حقاً من أبناء البيت المالك ولكن هذا اللقب في الواقع معناه ان حاكم السودان مقرب من الملك وله شرف الاتصال به ويهدف هذا اللقب الى اظهار عدم تفريق ملك الوادي بين مصر والسودان من جهة الحكم والادارة وحتى يهجر أهل السودان ان فرعون مصر قد أرسل اليهم من هو في حكم ابنه ليدير دفة شؤون البلاد الشقيقة

وكان لحاكم السودان العام تورى السابق الذكر شرف الخدمة في عهد ملوك عديدين ، فقد تقلد منصبه في أواخر عهد الملك احس الاول مؤسس عصر وحدة وادي النيل الثالثة وبقي حتى عهد الملك تحتمس الثاني — مما يدل على ان شاغل مثل هذا المنصب يبقى فيه طيلة عمره ما دام يؤدي عمله على الوجه الأكمل ومخلصاً لملك الوادي .

ومن الطريف أيضاً انه بابتداء عصر الملك امنحتب الثالث حوالي سنة ١٤٠٥ قبل الميلاد انجحد حاكم السودان العام يحمل لقباً آخر وكان يحمل الوزير أيضاً معناه ( حامل المروحة ) على

يعين الملك ) مما يدل عن ان حاكم السودان أصبح أكثر تقرباً في بلاط ملوك عصر الوحدة  
الثالثة ( الدولة الحديثة )

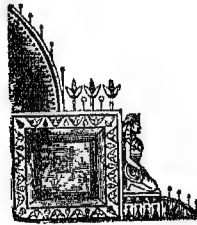
وكان من اختصاص حاكم السودان تصريف الشؤون الادارية والاشراف على المسائل  
القضائية والمالية .

أما شؤون السودان العسكرية والحربية فقد كانت من اختصاص رئيس جنود الرماة  
بالقوس في السودان .

وقد كان الحد الفاصل بين منطقة اختصاص حاكم السودان ومنطقة اختصاص وزير  
الجنوب عند جزيرة بحا القريبة من جزيرة فيلا بأسوان .

وكان يساعد الحاكم العام للسودان موظفان آخران أحدهما لقبه ( ادنوان واوات )  
واختصاصه من أسوان الى الغلال الثاني ، والثاني لقبه ( ادنوان كوش ) واختصاصه الاقليم  
المحصور بين الشلالين الثاني والرابع .

كذلك كان يساعد الحاكم العام للسودان موظفون آخرون كالكتابة ومحاسب الذهب  
لأهمية الذهب في السودان وكثرة وجوده بكميات وفيرة هناك في تلك العصور .



## هيرودوت في مصر

زار هيرودوت مصر حوالي عام ٤٦٠ قبل الميلاد ضمن البلاد الأخرى التي زارها ، ولم يمر هيرودوت بمصر وبغيرها من الأقطار مروراً حابراً بل كان خلال رحلاته شديد الملاحظة يسأل ويدقق النظر في كل معبد أو بناء مشهور يراه وفي عادات أهل البلاد التي يمر بها . لذلك أُلّف هيرودوت تاريخه عن مصر من وحي مشاهداته وما سمعه خلال رحلته فدوّن ذلك مؤيداً برأيه الخاص أحياناً . وفي هذا يقول « يجب عليّ أن أقصّ الرواية كما قبلت لي ولست مجبراً على تصديقها » لا سيما وقد اعترضته صعوبة عدم معرفته اللغة المصرية الفرعونية فكان يعتمد على ما يروي له الأدلاء وخدم المعابد وصغار الكهنة الذين كانوا بدورهم لا يعرفون اللغة اليونانية معرفة تمكنهم من الإدلاء بما يعرفونه من المعلومات ، ورغم كل ذلك فقد كتب هيرودوت موسوعة تاريخية خصص منها لمصر الجزء الثاني وفصول من الجزء الثالث ، واننا لا يسعنا إلاّ القول بأن علماء الآثار والتاريخ والاجتماع يعتبرون نصوص كتاب هيرودوت العمدة في تاريخ مصر . إذ أن هذا الكتاب اليوناني أول كتاب مفصل متعدد النواحي وصل إلينا عن مصر القديمة ، فضلاً عن النقوش المصرية القديمة التي لم يوفق العلماء إلى قراءتها والكشف عنها إلاّ في القرن الماضي .

\*\*\*

وقد صدق هيرودوت في بعض معلوماته التاريخية عن مصر نذكر منها على سبيل المثال وصف اللابيرنت (فقرة ١٤٨) وطريقة بناء الأهرام (فقرة ١٢٤ ، ١٣٤) واكتشاف علم المساحة في مصر وانتقاله منها إلى اليونان (فقرة ١٠٩) وأن المصري أول من عرف السنة الشمسية (فقرة ٤) وطريقة التحنيط (فقرة ٨٦) وذكره الملك مينا (فقرة ٩٩و٤) .

كما أنَّ هناك معلومات جغرافية صحيحة في كتاب هيرودوت جديرة بالتنويه نذكر على سبيل المثال ما أورده عن حدود مصر الجغرافية شرقاً وغرباً ( فقرة ٨ ) وبحيرة موريس ( فقرة ١٤٩ ) وأسماء بعض البلاد المصرية وموقعها مثل هليوبوليس وطيبة ومنف ( فقرات ٣ ، ٥٩ ، ١١٩ ، و ١٥٣ ) وفروع نهر النيل ( فقرة ١٧ ، و ١٥٥ ) .  
وطبيعي أن نجد الى جانب معلومات هيرودوت الصحيحة بعض الاخطاء التاريخية وبعض المعلومات الجغرافية الناقصة وقد أشار الى ذلك حضرة الأستاذ وهيب كامل في كتابه « هيرودوت في مصر » .



## الفصل الثاني

### بحوث اجتماعية

- ١ — عيد الجلوس الملكي في تاريخ مصر الفرعونية
- ٢ — ما أسدته مصر القديمة للعالم الحديث
- ٣ — الطب عند قدماء المصريين
- ٤ — الموسيقى عند قدماء المصريين
- ٥ — النسيج عند قدماء المصريين
- ٦ — مركز المرأة في مصر القديمة





## عيد الجلوس الملكي

### في تاريخ مصر الفرعونية

كانت حفلات التتويج في مصر الفرعونية تتبع نظاماً خاصاً يكاد أن يكون هو نفس النظام المتبع في الدول الحديثة . وقد ترك لنا التاريخ وصفاً رائعاً لحفلات تتويج الملك رمسيس الثاني الذي كان من أقرب ملوك الفراعنة الى قلوب أبناء وادي النيل .

بنى الملك رمسيس الثاني ، الذي حكم وادي النيل من سنة ١٢٩١ الى سنة ١٢٢٤ تقريباً قبل الميلاد معبداً كبيراً في الجهة الغربية من طيبة ( الأقصر حالياً ) هو معبد الرهسيوم ، ووصف على إحدى جدرانها مناظر ونصوص تتويجه التي كانت تسير على النمـج الآتي :

أولاً : تلاوة صلاة خاصة .

ثانياً : رش مياه الطهارة والحياة المقدسة على الملك .

ثالثاً : اعلان ألقاب الملك الرسمية .

رابعاً : اعلان اختياره وتقديمه لرجال البلاط .

خامساً : ارسال الخبر الى حاكم السودان العام .

سادساً : اطلاق أربع حمامات تحمل كل حمامة رسالة في عنقها فيها خبر تتويج الملك الى الجهات الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية .

ثم يلي ذلك احتفال عظيم يطلقون عليه اسم « الشروق » لأن الملك رمسيس يشرق عليه أمام شعبه كما يتجلى آله الشمس رع أو كما تطلع عليهم شمس المشرقة .

ثم يلي هذا ظهور الملك على رأس موكب عظيم يضم كهننة يحملون تماثيل من ملوك مصر : وعلى رأسهم تماثيل ملوك مينا ، ونب - حبت - رع - ، واحسن الاول . وهم واضعو

أمداح عصر وحدة وادي النيل الأولى والثانية والثالثة كما سبق الإشارة إليها .  
وهذا يدل على أن قدماء المصريين قد أدركوا أن كلاً من هؤلاء الملوك الثلاثة يبدأ  
عصرًا تاريخيًا هامًا وفترة قائمة بذاتها لها خصائصها ويميزاتها ، فإن كل حالة من هذه  
الحالات الثلاث تبدأ عند بدء اتحاد مصر والتفاف شعب وادي النيل حول عرش ملك مصر  
ولقد كانت حفلة تتويج رمسيس الثاني ذات أهمية تاريخية لأنها إلى جانب كونها احتفالاً  
بذكرى ارتقاء الملك عرش مصر فهي ذكرى لقيام وحدة وادي النيل تحت تاج ملك مصر  
في عصور مصر الزاهرة المختلفة ،

وكان يدعى إلى هذه الحفلة الأمراء وكبار الموظفين ورجال البلاط ومن اليهم ليشتروا  
في الاحتفال وليروا الملك الجديد .  
وبعد ذلك يتقبل الملك التهانئ من رجال بلاطه وحاشيته ومن كان غائباً يرسل تهانئه  
بالمائل كما تنص نصوص أخرى على ذلك .

وكان يحيط بالملك الجديد عدا الوزراء عدد كبير من موظفي القصر الملكي يرأسهم  
رئيس الديوان الملكي ( تبي شنوت ) وكبير الأمراء ( اوحم - ما - ان - نيسوت ) والأمين  
الأول ( تبي - اوحم - ان - نيسوت ) والقضاة وقادة الجيش <sup>(١)</sup> .  
وكان يسمح لكبار رجال الدولة بتقبيل يد الفرعون ، وأما الأمراء فكانوا ينحنون فقط  
احتراماً في حضرة مليكهم .

(١) نفاخر بأن مصر هي الدولة الأولى في التاريخ القديم التي وضعت أساليب الحرب التي يتبعها فواد  
الجيش الحديثين ، هذه الأساليب التي أم ما فيها تقسيم الجيش إلى فرق وإلى قلب وجناحين كما أن الجندي  
المصري استعمل النبال ( اللقاع ) بجانب معداته الحربية القديمة فكان لهذا التجديد في حروب الرامسة أشبه  
شيء باختراع المدافع في العصر الحديث .

## ما أسست له مصر القديمة للعالم الحديث

ليس من ينكر ما كان للحضارة المصرية القديمة من أثر في نواحي العلوم، والفنون والآداب والفلسفة، منذ فجر التاريخ لأنه بالرغم من قيام حضارات مختلفة في العصور القديمة، في أجزاء متعددة من انحاء العالم فقد كان وادي النيل مهد الحضارة البشرية الأولى، ومنه انتشرت الى بلاد الشرق والغرب على السواء، لذلك تدين الحضارات الحديثة لتقديم المصريين بكنيز من الأشياء.

فمن أهم ما أخذته العالم الحديث، عن مصر القديمة. استعمال بعض عناصر الأبجدية في اللغات المختلفة، لأن من أهم عناصر الحضارة الحديثة، طريقة كتابة اللغات بالحروف الأبجدية. ومن الثابت تاريخياً أن الفينيقيين اقتبسوا أصول التصوير عن الهيراطيقي، واخترعوا لأبجديتهم إشارات خاصة، للدلالة عليها، واستعملوها لكتابة لغتهم، وعندهم اقتبسها اليونان والرومان، ومن ثم انتشرت في كثير من بقاع العالم الحديث، فكانت هذه أول أبجدية ظهرت في العالم، وبذلك تركت مصر أثراً ظاهراً في البلاد الأخرى.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن مصر اخترعت الحبر (والورق البردي) فسهلت بهذين الاختراعين عملية تدوين آثار الإنسان العقلية، وثروته الذهنية وقدمت للعالم أجلاً أثراً، وأجلاً يد.

أما فيما يختص بالتقويم، فقد كان قدماء المصريين أول المتحولين عن التقويم القمري، إلى التقويم الشمسي، إذ تنبهوا عام ٤٢٤١ ق. م. إلى أن السنة الشمسية تهتمل على ٣٦٥ يوماً. والتقويم المصري هذا هو التقويم الذي حمله (يوليوس قيصر) من مصر، حوالي عام ٤٨ ق. م. إلى روما، وهو التقويم الذي عدله مجمع الكرادلة الذي عُقد برئاسة البابا

« جريجوار الثالث عشر » تعديلاً طمئناً عام ١٥٨٢ م ، ثم صار تقويم العالم كله اليوم . ويعتبر هذا الاكتشاف الميثاقى واستعماله في شؤوننا العالمية ، خطوة كبيرة نحو الرقي والمدنية ونخراً عظيماً للوطن الذي اكتشفه ، كذلك قسم قدماء المصريين منهم إلى إثني عشر شهراً ، وجزءوا كل شهر إلى ثلاثين يوماً ثم أضافوا آخر كل إثني عشر شهراً خمسة أيام كي تكمل السنة الشمسية ، ( أو ستة أيام كل أربع سنوات كما حصل في عهد بطلميوس الثالث ) وابتكر المصريون أيضاً طريقة لقياس ساعات اليوم ، وهي المزاويل ( الساعات الشمسية ) للنهار ، والساعات المائية لليل . فقياس الزمن بالسنين والأشهر والأيام والساعات كما هو حاصل اليوم يرجع في حقيقته إلى مصر القديمة .

\*\*\*

أما في فن العمارة ، فقد برع قدماء المصريين منذ أقدم العصور فيه ، وتركوا أثراً ظاهراً في البلاد الأخرى ، فالمصريون هم أول من اخترعوا قوالب الطوب المستعملة حتى اليوم في البناء ، لا في مصر وحدها ، بل في كثير من البلاد الأجنبية . كذلك هم أول من استعملوا الحجارة في البناء ، وأول من وضعوا ( الجبس ) بين الحجر والاجر ، ففي الحفائر التي يقوم بالإنفاق عليها مولانا جلالة الملك فاروق الأول أدامه الله بجهة حلوان ، والتي يرجع تاريخها إلى الأسرة الأولى ، ( حوالي سنة ٣٢٠٠ ق . م . ) نجد استعمال ( الجبس ) بين أحجار مقابر هذا العهد السحيق . ثم بدأت منذ عصر الأسرة الثالثة ، المباني العظيمة من الحجر ، كهرم ( زوسر ) ، والأعمدة المرتكزة على حوائط معبده . فإذا ما وصلنا إلى الأسرة الرابعة ، وجدنا هرم ( خوفو ) المقام من كتل عظيمة من الأحجار على مساحة تبلغ اثنتي عشر فدانا ، وارتفاعه حوالي ١٤٠ متراً وهو أشهر عجائب العالم السبع ، ولا يزال ماثلاً للعيون ، ويزيد عمره على ٤٠٠٠ سنة ، ومع هذا فهو باقٍ يشهد بمجد مصر الخالدة . ولو علمنا أن تلك الكتلة الحجرية الكبيرة ، التي استعملت في بناء هذا الهرم تبلغ نحو ٢٣٠٠٠٠٠ حجراً متوسط ثقل الحجر طنان ونصف طن ، طالنا أن نتصور ما يتطلبه نقلها وحملها إلى الارتفاعات المطلوبة من مقدرة في فن العمارة وغيره من العلوم ، كالمهندسة ،

والحساب ، والرياضيات ، مما تحكم بأن الأهرامات <sup>(١)</sup> ماهي إلا آية من آيات فن البناء ، وما هي في الواقع إلا مدى الخطوات الواسعة التي خطاها فنُّ المعمار والعلم في تلك العصور السحيقة . وهذا التطور في البناء من الطين الى الطوب ، الى الحجر ، الى بناء الأهرامات ، كانت نتيجة محتمة لتطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، والدينية في مصر القديمة . وقد راق هذا الفن في أعين أثرياء الرومان الذين بنوا مقابرهم على شكل هرم صغير حتى إلى عهد أغسطس قيصر روما .

ومن الأمثلة العديدة لتقدم فن المعمار في مصر القديمة معابد الدير البحري والكرنك وأبي سنبل ، ومقابر الملوك وغيرها مما يضيق المقام بذكره .

أما من حيث الزخرفة المعمارية ، فلسنا بالمغالين إذا قلنا ان العالم الحديث مدين في كثير من زخارفه للمصريين ، فالترزين بالزهور لاسيما زهرة اللوتس المصرية ، والبردي والبشنين واستعمال سعف النخيل ورسم قرص الشمس ذي الأجنحة واقامة المسلات وتشييد الأعمدة لاسيما النوع المعروف بالدوري ( دوريك Doric ) ماهي إلا زخارف مصرية ، اقتبسها الاثوريون ، والفرس عن المصريين ثم انتقلت عنهم الى الاغريق والرومان ، وبعد ذلك نراها تنتشر مع تغيير طفيف في أنحاء العالم المتقدمين .

ولم يكن حظ قدماء المصريين من الزراعة بأقل من حظهم في الشؤون الاخرى فهم أصحاب أقدم حضارة زراعية عرفها العالم الى اليوم ، لأن انسان العصر الحجري الحديث ( نيوليتك ) ابتكر زراعة الأرض ونجح في استئناس الحيوان ، وإخضاعه لأغراضه ، بعد ان كان يعيش على الصيد في العصر الحجري القديم واستخدم الفأس ، والحراث وغيرها من الآلات التي ما زلنا نستعملها الى يومنا هذا .

أما أثر قوانين قدماء المصريين في التشريع الحديث ، فالبحوث المأينة أثبتت أن أذاب القوانين الرومانية التي تعتبر أساساً لقوانين المدينة ، ترجع الى قوانين قدماء المصريين .

(١) من الطريف ان الملك كان يبني الأهرامات في أيام فيضان النيل فقط وكان يوم بنائه المصريون وقد خصص الملك أيام الفيضان للبناء حتى يساعد الفلاح المصري الذي تنمر المياح أراضيهِ في ذلك الفعل من السنة على اكتساب قوته وإيجاد عمل له وذلك خلافاً لما هو شائع من أن بنا الأهرامات سخرة للمصريين أو أن أسرى قاموا به .

## الطب عند قدماء المصريين

قلنا إن المصريين هم أول من خط بالقلم على الورق البردي لأنهم اخترعوه ولورق البردي أهمية خاصة فالفضل مثلاً في اظهار تاريخ الطب عند قدماء المصريين يرجع الى ما وجدناه مدوناً على ورق البردي .

وقد وصل الينا كثير من مؤلفات قدماء المصريين في الطب ، وأقدم الكتب الطبية يرجع تاريخه الى الملك « قتا » ثاني ملك من ملوك الاسرة الاولى . وقد حكم حوالي سنة ٣١٧٠ ق.م ( أي أوائل عصر الوحدة الأولى ) . كما أن بعضها كتب في الجراحة على أساس علمي صحيح دل على أن الجراحين للقدماء شخصوا كثيراً من الحالات تشخيصاً صحيحاً وعرفوا طريقة علاجها ، بل أنهم استعملوا أدوية لتخدير الأجزاء التي يراد قطعها وتشريحها . ومن أهم هذه المؤلفات التي تبحث في الجراحة بردية « أدون ميمث التي تحوي ٢٢ صحيفة ، ويرجع تاريخها الى حوالي سنة ١٥٥٠ ق.م ( أي أوائل عصر الوحدة الثالثة ) . وتعتبر أقدم مرجع في العالم في فن التشريح والجراحة . ومن المحتمل أن تكون هذه البردية نسخت من مؤلفات سابقة لعصرها .

وتتضمن هذه البردية على الجروح التي تصيب الجسم ثم تشخيصها وعلاجها وتبتدىء بذكر جروح الرأس وتنتهي بالقدمين ، أي متوخية ترتيب الأعضاء من أعلى الى أسفل . ولعلّ الاتجاه الى هذا الترتيب هو الخطوة الأولى في مقدار معرفتهم بالطب ودقتهم فيه وتنظيمهم له . ويمكن اختصار أهم حالات الأمراض الواردة في هذه البردية بالطريقة الآتية :  
أولاً : أمراض الرأس . ثانياً : أمراض الأنف . ثالثاً : أمراض الفك العلوي . رابعاً :  
أمراض الصدغ . خامساً : أمراض الأذن والفك السفلي . سادساً : أمراض الشفتين والذقن .  
سابعاً : أمراض الحلق والرقبة . ثامناً : أمراض الكتفين . تاسعاً : أمراض الصدر والتدين .

فاثراً : أمراض العمود الفقري ، ( والبردية أثقلت هنا ثم ذكرت أمراض إصبع القدم ) .  
فيتضح من ذلك أن الطبيب المصري القديم راعى حسن الترتيب بطريقة علمية منظمة .

كذلك قسمت الجروح الى جروح نتيجة لمعارك أو عض ، وجروح من أثر حريق ، وجروح نتيجة ضرب . ثم ذكرت كسر العظام والضلوع ، وكسر الذراع وهكذا . وهذا مما يدل على مهارة الطبيب المصري القديم في تحرّيه الوقوف على سبب المرض أو سبب الجرح ثم علاجه ، أي وصف الداء ، ثم إعطاء الدواء كما يجري الآن في وقتنا هذا .

وكذلك وصلتنا أوراق بردية بها وصفات لطرق علاج الأمراض المختلفة التي كانت سائدة في ذلك الوقت : مثل ما نسميه اليوم البلهارسيا ( البول الدموي المصري ) ، والجسمي الصغيرة أو الطويلة ، وأمراض المعدة ، والديدان المعوية ، والقلب والكبد ، وباقي الأمراض الباطنية ، وأمراض النساء كالتهاب الندي أو ارتخائه ، ونزيف الرحم وإيقاف النزيف والتهاب الرحم وغير ذلك .

ومن أمراض الأسنان مثلاً التهاب اللثة أو تلف الأسنان أو تثبيتها . ومن أمراض الأذن فقد السمع أو ضعفه أو نزول الصديد من الأذن . ومن أمراض العيون غزارة دموع العين ، وضعف النظر ، وورم العين والتهابها أثناء الزكام ، والرمم الصديدي والحبيبي وغيرها . وكذلك وصلت إلينا الطرق التي تعالج بها حالات القيء كإيقافه أو تلطيفه أو إحدائه عند الزوم في بعض الحالات .

وكذلك عرفوا المسهلات ، بل كان قدماء المصريين يعرفون أن الشرايين تبدأ من القلب وتأخذ منه الدم ثم تذهب إلى كل عضو ، أو بعبارة أخرى عرفوا أن القلب له علاقة بجميع الأوعية ومتصل بكل عضو ، بل زيادة على كل ذلك فقد عرفوا النبض .

وقد وصلت دقة المصريين القدماء في تلك الجهود السحيقة إلى ما نحن نكافح من أجله في عصرنا الحاضر وهو الوقاية من الأمراض واستعملوا الحقن في إدخال السوائل في الجسم وليس أدل على مقدرة المصريين القدماء في الطب وبراعتهم فيه من فن التخصيط وما استعمل فيه من آلات ، فوصل تخنيط جنث الفراعنة إلى أعلى درجة من الإتقان بدليل تلك الموميات التي أخرجت من مراقدها بعد مضي آلاف السنين وما زالت تحتفظ بهكاتها



الآدمي كما كانت وقت الحياة . والسبب في اهتمامهم بالتحنيط هو أن من بين معتقداتهم الدينية أن الحياة لا تنتهي بالموت ، بل إن هناك حياة أخرى بعد الموت وهي البعث . ومن شدة اهتمام المصريين القدماء بعودة الروح لتزور جنتها أن القانون المصري القديم جعل الأعدام عقوبة من يسرق من مقبرة ويمسُّ المومياء . فلا غرابة في أن نجد لذلك عند المصريين رجالاً اختصوا بفن التحنيط وغالباً كانوا من طبقة الأطباء .

وأهم شيء في عملية التحنيط هو استخراج الأحشاء بواسطة شق جدران البطن بسكين حاد وتنظيفها ثم وضعها في صندوق يعرف بصندوق الأحشاء ثم استخراج المخ من منافذ الأنف بقضبان عفاء من حديد فيجذبون منه ما يمكن إخراجها من الجمجمة ، وما بقي يستأصلونه بعقاقير يقذفونها في تجاويف الجمجمة ، ثم يعالج كل الجسم بالنترون ، ثم يغسل ويلف في لفائف من الكتان .

كذلك مما يدل على براعة المصريين القدماء في الطب تخصص أطبائهم في مختلف أمراض فروع الطب . فبعضهم كان يختص بأمراض النساء ، والبعض بأمراض الأسنان ، والبعض بأمراض العيون ، والبعض بالأمراض الباطنية ، والبعض يختص بأمراض الحيوان ، ( وكانت الحيوانات والطيور المقدسة تحفظ لاعتقادهم بقدامتها كالمجمل آيس وأبي قردان ) .

وكان يطلق على الطبيب باللغة المصرية القديمة اسم من ( سيني ) .

وكان الملك طبيب أو أكثر من طبيب خاص . ومن طريف ما يروى في هذا الصدد أن أحد وزراء الملك مرض مرة فأرسل له طبيبه الخاص مما يدل على مبلغ ما كان يكتسه الملك لوزيره من عطف ومودة .

وكان يتناقل مهنة الطب الابن عن الأب في أغلب العصور .

ودلت البحوث الطبية الحديثة على أن لقدماء المصريين فضل السبق على اليونان في عالم الطب . فقد كان اليونانيون يشيدون بذكر الأطباء المصريين ، ويتناقلون كتب طبهم ويحفظونها ليهتدوا بها . وعن اليونان أخذ الكثير من عمال العالم الحديث

## الموسيقى

عند قدماء المصريين

المصري القديم مرح بطبعه يعني في المنزل وفي الشارع وفي الفرح وفي كل مناسبة من مناسبات الحياة . ونلاحظ حتى الآن أن الفلاح يعني في الحقل وكذلك الفلاحات عند ملأهن الجرار من النيل مما يدل على وراثة المصريين لحب الغناء .

وقد تفنن المصري منذ القدم في نوع هذه الأغاني ، فمنها ما يتصل بالعمل ومنها ما يتصل بالعبادة ومنها ما يتصل بالغرام . ومن الصنف الأخير نجد الأغنية الآتية :

« عند ما أقبل الحبيبة وأفتح فيها لا أحتاج إلى خمر أشربها .

أذهب إلى فراشي وقد أعياني داء الغرام وحاذني جيرانى وبينهم حبيبتي التي زجرت الطبيب عند ما حاول علاجى لأنها أعلم بموطن دأى » .

وغير الغناء نجد الموسيقى . وقد أثبت المؤرخون أن أجدادنا استعملوا آلات الطرب المختلفة منذ أقدم العصور ، سواء أكانوا في منازلهم في الولائم والأفراح أم في المجال العامة في الأعياد والاحتفالات الدينية . ونحن نستطيع أن نفرق بين نوعين منها موسيقى منزلية وأخرى عامة ، ونحن نعني بالموسيقى المنزلية هذه الموسيقى التي تحتاج إلى الآلات التي كان من السهل العزف عليها لغير المحترفين ، كما نعني بالموسيقى العامة هذا النوع الذي يحتاج إلى مجموعة من الآلات التي لا بد منها لتكوين فرقة موسيقية كاملة وهذه الآلات الموسيقية كما عثر عليها في الآثار أو جاءتنا عن طريق الصور أو النصوص تدل دلالة واضحة على براعة قدماء المصريين في صنع هذه الآلات وإجادة العزف عليها . فنصوص الدولة القديمة وصورها تطلعنا على أن (مري-بتاح-رع) كان يرأس فرقة موسيقية تتكوّن من مغنٍّ ومن طازف على العود وآخر للربابة ونافخ في الناي . كما أن (حم رع) كان يرأس فرقة موسيقية تعني فيها امرأة .

أما إدارة الفرقة قديماً فكانت لا تختلف كثيراً عن إدارة الفرقة الموسيقية الأوروبية مع ملاحظة أن المدير كان يُرعى جالساً أحياناً . ومن الجدير بالذكر أن هذه الإشارة التي كان يقوم بها الرئيس يعبر عنها في اللغة المصرية القديمة بفعل مخصص باليد لأن اليد هي العضو الهام في تأدية هذه الحركة .

وكانت الألحان في ذلك العصر من هذا النوع الهادئ الرقيق . وهذا الطابع الموسيقي كان ملحوظاً أيضاً في الموسيقى الراقصة التي كانت تتفق تمام الاتفاق وحركات الرقص وأوضاعه في ذلك الحين . وليس معنى هذا أنه كانت تستتبع وجود آلات موسيقية للرقص ، بل كثيراً ما كانت تكفي باليدين . ونجد أحياناً بعض الراقصات يغنّين أثناء رقصهن .

أما أوضاع الجسم فكانت تتغير تغيراً كثيراً حسب ما تتطلبه الرقصة المطلوبة فنرى أحياناً صورة امرأة وقد ألفت رأسها وصدرها الى الخلف ، أو قدمت إحدى ساقيها على الأخرى ، وهكذا من ضروب الرقص الكثيرة .

وكان المثل الأعلى في الموسيقى المنزلية هو ما يوجد في القصر الملكي إذ كانت تعرف فيه فرق كثيرة متنوعة تحت إشراف فنان عظيم .

ومثل الدولة القديمة نجد الدولة الوسطى ، بينما في الدولة الحديثة نرى الموسيقى وقد تطوّرت تطوراً عظيماً ، فنجد رقيق إلى صخب مقلق . ولعل ذلك يرجع إلى الأثر الآسيوي الذي دخل البلاد في ذلك العصر مع الهيكسوس . فثلاً الآلات الموسيقية ذات الوتر الواحد تعددت أوتارها التي كانت تمنع من الليف المصنّفور ، وتنوعت أحجامها أيضاً وقد دخلت آلات موسيقية جديدة في ذلك العصر كالآلة الكنعانية المسماة ( كنور ) والقيثارة والرق والرباب الجاني ( مندولين ) وحلّ المزمار المزدوج محل الطويل المنفرد كما شاع في ذلك الوقت بين الشعب الناقرون بالعصي والمصفقون بالصاجات .

وكما كانت الموسيقى حماسية قوية في ذلك العهد ، كذلك كان الرقص والغناء ، حتى إن بعض المغنيات المصريات كنّ يرحلن الى الأفطار المجاورة لثغر فن الرقص والغناء المصري في الأفطار الأخرى ، كما نعلم ذلك من قصة سياحة ( ونا مون ) .

وقد استمرّ الحال كذلك حتى العصر اليوناني الروماني ، وخاصة الآلة المصرية المعروفة

(مستروم) . بل نجد (فيثاغور) أبا الموسيقى عند اليونانيين يحضر إلى مصر ويتعلم الفنون الموسيقية كما حدثنا بذلك (ديوجينيس) ويتحدث هيرودوت أبو التاريخ كثيراً حديث الإعجاب عن الآلات الموسيقية المصرية كحديثه مثلاً عنها في عيد (أرتميس) في تل بسطا .

\*\*\*

هذا عرض موجز للموسيقى المدنية عند قدماء المصريين وليس معنى هذا أنه كانت تنقصهم الموسيقى الحربية . فالنصوص والرسوم والآثار التي وصلت إلينا كثيرة في هذا الصدد ، وهي تجمع على أن المصري منذ فجر التاريخ كان أول من نفخ في البوق في النداءات العسكرية وأول من دق على الطبل لتنظيم المشي في المناورات الحربية بخطوات عسكرية واحدة . وهم أول من ابتدأوا السير في الاستعراضات العسكرية بالرجل اليسرى مع أن الأمم الحديثة تعتقد أنها هي التي ابتكرته . مما تقدم نرى أن المصري القديم لم يحرم نفسه لذة الطرب والغناء والموسيقى والرقص



## النسيج

عند قدماء المصريين

كفّل نهر النيل لهذا الوادي وسكانه كل أسباب قيام الحضارة واستقرارها فيه وفي قيام الصناعات التي ترتبت على وجود الزراعة كالنسيج لذلك كانت مصر منذ فجر التاريخ مشهورة بمنسوجاتها الكتانية ففي حفائر مرمدة ( بني سلامة ) عثر المنقبون على قطع من غزل الكتان فلا شك إذن في أن الغزل والنسيج كانا من أقدم الحرف في مصر .

ومن الطريف أن صور هذه الصناعات وجدت منقوشة في بعض المقابر . ففي مقابر بني حسن التي يرجع تاريخها إلى عهد الأسرة المعروفة في التاريخ بأنها الأسرة الثانية عشرة نرى رسوم الأدوار التي تمر على نبات الكتان من تعطين ودق وتغشيط وغزل ونسج . هذا إلى أنه كشف عن نماذج لنساء يشتغلن بالغزل والنسيج في مقابر الأسرة الحادية عشرة في طيبة .

كما وجدت في كثير من المقابر والمباني المدنية كالمنازل بقايا بعض الملابس والمنسوجات وأدوات النسيج .

وكانت الأقمشة الكتانية تصدر إلى بلاد اليونان في العصور الفرعونية الأخيرة كما حدثنا بذلك هيرودوت وكما ذكر في سفر أشعيا .

وتلى صناعة الكتان في الأهمية صناعة الأصواف ويرجع تاريخ هذه الصناعة إلى عصر فجر التاريخ فقد وجد الأستاذ زكي سعد في الحفائر التي يقوم بالإفقاء عليها حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فاروق الأول بحجة حلوان بعض الآثار المصنوعة من الصوف .

واستمرت في العصر القبطي مواولة صناعة الغزل والنسيج في المنازل إلى جانب المصانع وكانت هناك ضرائب تفرض على الناصجين كخريبة الترخيص بمواولة صناعة نسيج الكتان .

ومن الطريف أن نلاحظ أن زخارف المنسوجات الملونة كانت منقوشة بطريقة التابستري Tapestry أي بتقاطع خيوط اللحمة بخيوط السداة حتى اذ وصل النساج الى النقطة التي يريد زخرفتها أوقف عملية الحشو بخيوط اللحمة وأخذ في عمل الزخرفة بخيوط جديدة تختلف في لونها عن خيوط السداة الأصلية . وقد تختلف عنها في نوعها وذلك بنسج هذه الخيوط الجديدة مع خيوط السداة الأصلية ، وبعد الفراغ من عمل الزخرفة فنظم خيوط السداة كما كانت من قبل ثم تستأنف عملية النسج التي كانت تزاوّل قبل الزخرفة — وكان للمصريين قدرة فائقة في استعمال الألوان .

وهذه الطريقة طريقة التابستري هي التي حذقها أجدادنا الفراعنة وبلغوا فيها شأواً عظيماً وقد ورثها عنهم أحفادهم الأقباط وحافظوا عليها طوال العصور . ولقد كان لجوهر مصر الفضل في الإبقاء على الكثير من المنسوجات وعلى الاحتفاظ بألوان زخرفتها الزاهية كما نشاهد في آثار الملك توت عنخ آمون وفي قسم المنسوجات والأقمشة بالمتحف القبطي .



## مركز المرأة في مصر القديمة

### مقام المرأة من الوجهة الاجتماعية

تعدد الزوجات أمر لم يكن معروفاً عند قدماء المصريين إلا أنه كان للرجل المومر الحق في أن يضم إليه كثيرات من المغنيات والجواري كما أنه كان للملك الحق في أن يتخذ إلى جانب زوجته الشرعية (الملكة) زوجات أخريات لاحقاً لهن في وراثة العرش . وكانت الزوجة تعرف باللغة المصرية القديمة بما معناه « زوجته المحبوبة وربة الدار » . فكانت هي التي تشرف على إدارة المنزل وتربية الأطفال بجانب اهتمامها بزوجها . وبجانب هذا الشأن الذي لها في حياة الأسرة وكيانها فقد كانت ذات شأن في الحياة العامة كما سنرى ذلك فيما بعد .

ولم يكن اهتمامها بالمنزل وبأسرتها طائفاً لها عن التزين والتأنق فكانت تخطب أنامل يديها وأصابع قدميها وتكحل عينيها وتلون شفتيها باللون الأحمر كما تفعل المرأة الحديثة في أيامنا ، ولكن بطريقة تختلف عن الطريقة المصرية لأنها كانت تستعمل الفرشاة عند التلوين وتضع على وجهها مختلف المساحيق التي تظهرها بالمظهر الثقلان . وكانت تجعد شعرها بحسب العادة الجارية في عصرها ، وتزين صدرها وعنقها ويديها بالخلى والجواهر .

والآداب المصري زاخر بالمعارف التي تبين حب الابن لأمه والابنة لأمها وزاخر أيضاً بالمعارف التي تبين علاقة الرجل بامرأته فكان يقبلها ويداعبها ويعانقها ويعاملها بالحسنى ولا يهجرها ، وكذلك يتيح لنا هذا الآداب معرفة الكثير عن خواطر المرأة والرجل وما بينهما من صلات الصداقة والحب وعلى سبيل المثال أورد القصة الآتية وهي مكتوبة على ورقة بردية محفوظة بمتحف ليدن

وهي أن رجلاً مريض بعد وفاة زوجته فاستشار أحد المعجزة في ذلك فأخبره أن يكتب خطاباً الى روح زوجته فيكتب إليها خطاباً وذهب به الى مقبرتها في أحد الأعياد وقرأه بصوت عالٍ ثم ربطهُ بتمثالها حتى يعمل إليها وقد جاء فيه : « أي ذنب جنيتهُ نحوكِ أيتها الحبيبة حتى أقع فيما أنا فيه من بؤس وشقاء ؟ أي ذنب جنيتهُ أيتها الحبيبة حتى تساعدي أرواح الشر ضدي ؟ وماذا فعلت معكِ منذ زفاننا الى اليوم ؟ تزوجتكِ وكنت رجلاً يسهل منصباً صغيراً وتدرجت بعد ذلك من منصب الى منصب وما جال بخاطري يوماً أن أهجرك وما فكرت أبداً في أن أجلب الحزن الى قلبكِ . ذلك كان سهووري يوم كنت صغيراً وما تحولاتُ عنه لما صرتُ كبيراً في خدمة فرعون . فلم أهجركِ بل حافظتُ عليكِ في السراء والضراء . . . وعندما مرضتُ لم أحضر لكِ كبير الأطباء فبذل كل شيء في سبيل شفائك . إنني لا أعلم يوماً قصرت فيه في واجبي نحوكِ » .

وقد كان للمرأة المصرية القديمة حفظٌ موفور من الثقافة مما يسترعي النظر . فاسيدات المصريين كنَّ مولعات بالعلوم والفنون . يحدثنا موظف يدعى « خنوم ردى » بأنه كان أميناً لمكتبة سيده عظيمة القدر تدعى « نفروكايت » ثم يقول ما ترجمته : « هذه السيدة عيَّنتني في دندرة مشرفاً على خزائن الكتب الخاصة بأُم تلك السيدة التي كانت مولعة بالعلوم والفنون » ونجد بعد ذلك أن هذا الموظف ابتداءً يصف ما قام به من أعمال عظيمة في أثناء إدارته لتلك المكتبة فيقول : —

« قد زدتُ في عدد مجاميع الكتب الموجودة بها وجلبت لها كثيراً من المؤلفات الثمينة حتى أنها لم تعد في حاجة الى توسيع أكثر من ذلك على ما أعلم ورتبت هذه المكتبة ترتيباً حسناً لم يحدث مثله من قبل . وقد ربطت ما كان مفككاً ( يعني أنه ربط لفات البردي المحلولة ) .

وأما من الوجهة المدنية فقد كان للمرأة كامل حقوقها في التصرف في أموالها والتصرف في عقارها دون الرجوع الى زوجها أو ابنها أو فرد آخر من هائلتها . وقد حدث أن تصرفت أم « الموظف امين » بكامل حريتها في ملكها بالوصية والهبة .



## مقام المرأة

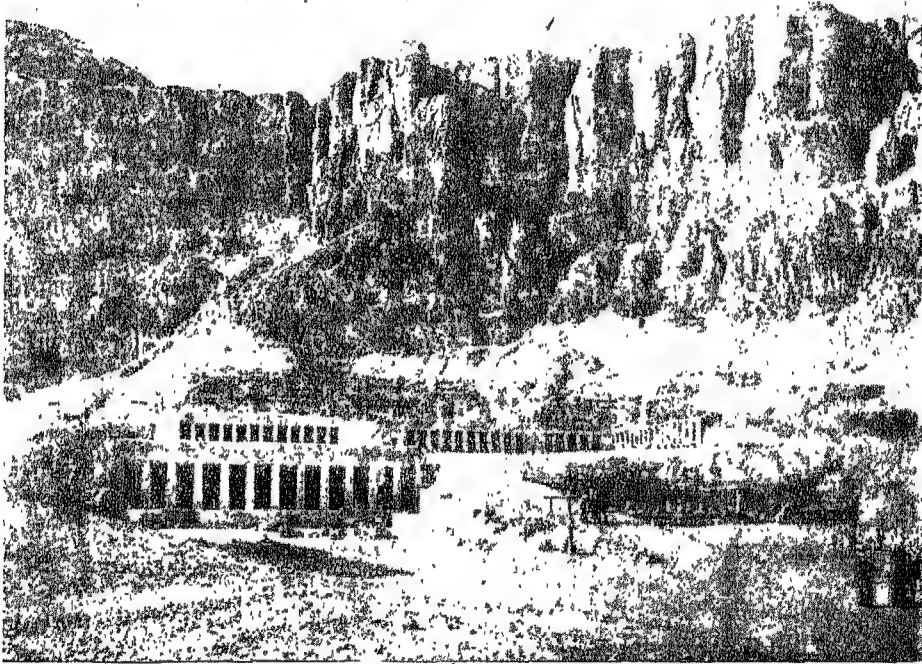
من الوجة السياسية

كان نظام الحكم المصري يبيح للمرأة حق تولي عرش مصر فلم تقعدها الانوثة عن ركوب الصعاب فشاركت الرجل في هذا الجهاد ، وتاريخ مصر القديم حافل بعدد وافر من شهيرات النساء اللواتي جلسن على عرش مصر . ففي الدولة القديمة نجد الملكة نيتوكريس ( خنت كاواس ؟ ) وفي الوسطى « سبك نفرو رع » وفي الحديثة الملكة حاتشبوت وفي عهد البطالمة الملكة كليوباترة الأخيرة ( أعني كليوباترة آخر من تولي عرش البطالمة . وقد أخفقت في سياستها وبعد وفاتها سنة ٣٠ ق . م دخلت مصر تحت حكم أغسطس قيصر روما ) . وسأقصر الكلام على الملكة حاتشبوت التي تعد من أعظم الملكات اللواتي عرفهن التاريخ القديم وهي التي حكمت مصر من سنة ١٤٩٣ ق . م الى سنة ١٤٧٩ ق . م وتركت لنا آثاراً كثيرة كما انه وصل الينا شيء كثير عن أخبار بعض موظفي هذه الملكة .

ويمتاز عهدها بأنه كان عهد سلام ووثام مع الممالك المجاورة لمصر فلذلك تمكنت من أن توجه جهودها الى أعمال السلام بالرغم من المنازعات الداخلية التي نشأت بسبب التنافس العائلي على العرش وبسبب زيادة نفوذ كبار كهنة آمون . وقد ساعدها على تنفيذ الأعمال السلمية حروب والدها تحتمس الاول ، وكذلك المعارك التي خاض غمارها أخوها وزوجها الاول تحتمس الثاني وهي المعارك التي ثبتت أركان الامبراطورية . هذا من جهة . ومن جهة أخرى صغر سن تحتمس الثالث ابن زوجها الاول تحتمس الثاني من زوجة ثانية . فقد ساعدتها كل هذه الظروف على ان تكون على جانب عظيم من القوة والدهاء .

وقد استغلت هذه الملكة مناجم شبه جزيرة سيناء حوالي في صربوت الخادم أو في وادي المغارة ، فأرسلت هناك البعثات قلو البعثات للحصول على مسحوق معدني النحاس والمواد الأولية اللازمة لعمل الزجاج .

وقد وجدنا كثيراً من الزجاج في هذه الجهة عليه اسم هذه الملكة وطبيعي ان صناعته استلزمت وقوداً كثيرة مما يدل على استعمال الكثير من الخشب وبجعلنا نرجح غناء هذا الاقليم بالاشجار ولم يكن صحراء جرداء كما هو مشاهد الآن .



« معبد الدير البحري الذي أقامته الملكة حاتشبوت بطيبة الغربية »

واهتمت الملكة حاتشبوت كذلك بالمعابد فأكثر من تشييدها . ولعل أهم ما شيدته معبدها المعروف « بمعبد الدير البحري » وقد سمي بهذا الاسم حتى لا يختلط علينا في العصر القبطي مع دير آخر بُني في الجهة القبلية وأقصد به « دير المدينة » . ويتكوّن معبد الدير البحري من ثلاث شرفات متدرجة ، الشرفة العليا تنتهي بصف من الحجرات . وقد بني هذا

المعبد حوالي السنة الثامنة من حكم الملكة حاتشبوت . ومن حسن الحظ أن خلا اسم المهندس الذي شيده وهو « سن إن موت » أما الذي كلف الإشراف على صنع أبوابه من البرنز المطعم بخليط من الذهب والفضة فهو أحد رؤساء المالية الذي يدعى « تحوتي »

\*\*\*

ومن المناظر والنصوص التي بقيت لنا من هذا المعبد وهي ذات قيمة تاريخية فيما يخص عصر هذه الملكة ، تلك التي توضح لنا طريقة ولادة الملكة حاتشبوت بناءً على وحي آلهي من الإله آمون ( إله الدولة في ذلك الحين ) وما يثبت حق الملكة الشرعي في الاستيلاء على عرش مصر

وقد أرسلت الملكة حاتشبوت بعثة تجارية الى بلاد بنت ( الصومال ) فقد بعثت في السنة التاسعة لحكمها أسطولاً مكوناً من خمسين سفينة أفلح من المياه المصرية قاصداً الصومال متبعاً نهر النيل شمالاً حتى وصل شرقي الدلتا، ومن شرقي الدلتا عبر هذا الأسطول قناة وادي طميلات ( قرب إقليم السويس ) الى البحر الأحمر

وبعد وصول الأسطول سالماً الى بلاد بنت عاد الى مصر محلاً بخيرات بلاد الصومال فاستقبلت الملكة حاتشبوت قائده ورجاله في الكرنك بطيبة وقدمت لهعبود آمون بعض واردات الصومال .

ومن أهم ما شيده الملكة أيضاً من الآثار ما أضافته الى معبد آمون بالكرنك وأقامتها مسلمين عظيمين فيه .

وقد بلغت ثروة المملكة المصرية في ذلك الحين درجة من الرخاء عظيمة وكانت جزيرة المستعمرات تصل الى مصر بانتظام . بل من ظريف ما قالته هي عن عصرها « إنها تكيل المعادن النفيسة كالخشب أي بالأكابيل الكبيرة »

لقد ساهمت المرأة تقريباً في كل ناحية من نواحي الحياة في مصر القديمة فكان فيها ملكات، وكذلك كاهنات في المابد، وطبيبات وكاتبات وموظفات وربات دور ومغنيات .

## الفصل الثالث

### بحوث قانونية

١ — مجموعة قوانين مصرية . قانون الملك حورمحب

٢ — القانون الجنائي عند الفراعنة

٣ — دور العدالة :

أ — المحاكم الوطنية

ب — المحاكم المختلطة



## مجموعة قوانين مصرية

### قانون الملك حور محب

جرت عادة لا يبررها استقصاء بين علماء علوم الآثار المصرية وهي أن يقال عند الكلام في نظام الحكومة القضائي إن المادة لهذا الموضوع غير كافية ، كذلك جرت العادة بين علماء القانون عند الكلام في تاريخ القانون أن تهمل مصر الفرعونية تماماً بحجة أن القراضة لم يسنوا قانوناً جامعاً يدل على المواد التي كانت تتبع إذاك مثل قانون حمورابي عند الآشوريين وقانون اللوحات الإثنتي عشرة عند الرومان .

وكان أول من حاول الخروج على هذه العادة Révillout<sup>(١)</sup> ثم Pirenne<sup>(٢)</sup> ثم أخرج أخيراً الأستاذان شارف وزيدل<sup>(٣)</sup> كتاباً يبحث في تاريخ القانون المصري القديم ويعالج بعض المشاكل التي تقابلنا في نظام القضاء الفرعوني .

وسأحاول في هذا الفصل أن أعرض باختصار لبعض مجموعات القوانين المصرية ، وسأحاول أن أبين باختصار كذلك منزلة التشريع المصري القديم في تاريخ القانون وتأثير هذا التشريع على الحضارات القديمة من يونانية ولائينية .

أما المجموعات فإنه لم يصلنا كثير منها ، ولكن الثابت أنه كانت توجد مجموعات منذ أقدم

(١) E. Révillout, Cours de droit Egyptien, Paris 1884.

(٢) J. Pirenne, Histoire des Institutions et du Droit Privé de l'Ancienne Egypte, Bruxelles 1932-1935.

جمع هذا المؤلف المواد اللازمة لهذا الموضوع وطبع ثلاثة أجزاء للدولة القديمة فقط . والذي يؤخذ على هذا المؤلف أنه أضاف بعض النصوص التاريخية والدينية التي لا علاقة لها بدراسة القانون .

(٣) A. Scharff und E. Seidl, Die Rechts geschichte des alten Aegypten, 1939.

العصور فقد أثبت بعض المؤرخين القدماء أن الملك مينا (حوالي سنة ٣٢٠٠ ق. م) أول ملوك الأسرة الأولى ومؤسس الدولة القديمة من القوانين. ويقول في ذلك ديودور<sup>(١)</sup> إن القوانين كانت موضوعة في عصر الملك مينا، ولا غرابة في هذا، فإن الكتابة كانت قد تقدمت في هذا العهد<sup>(٢)</sup> أي أننا نجد في مبدأ عصر الوحدة الأولى القانون المصري قد وُضع وُسن.

وليس من شك في أن مثل هذه القوانين قد تكرر سنّها في العصور التالية لحكمه، فقد أشير غير مرة في مواضع عدة إلى قوانين قديمة جداً نذكر منها على سبيل المثال:  
١ — نصوص الوزير منتوحتب (أحد وزراء الملك سنوسرت الأول حوالي سنة ١٩٧٠ ق. م)<sup>(٣)</sup>.

٢ — تعليمات الملك تحتمس الثالث (أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة حوالي سنة ١٤٨٠ ق. م) لوزيره رخي رع التي يشير فيها إلى قوانين قديمة جداً<sup>(٤)</sup>. وفي مقبرة الوزير نفسه نجد رسماً لمجموعة قوانين مطوية في أربعين ملفاً من الجلد موضوعة أمام الوزير<sup>(٥)</sup> بصفتة القاضي الأعظم (صاب سبختي) وهو جالس في دار المحكمة في إحدى الجلسات العلنية. ولا نعلم بالطبع ما كانت تحوي هذه الملفات من مواد قانونية.

أما مجموعات القوانين المصرية التي وصلت إلينا فأهمها قوانين الملك حورحوب وهو موضوع هذا البحث.

والملك حورحوب (١٣٣٠ ق. م) هو أول ملوك الأسرة التاسعة عشرة على أحدث الآراء. فلما تولى العرش كان أول ما اهتم به القضاء على الفساد الذي عم البلاد بسبب الثورة الدينية والاضطرابات الداخلية التي بدأت من عهد الملك اخناتون واستمرت إلى أواخر الأسرة الثامنة عشرة.

(١) Diodor, I, 54. (٢) K. Sethe, Vom Bilde zum Buchstaben.

(٣) Weil, Die Veziere, 38-39- Breasted, Ancient Records, I, p. 255.

(٤) K. Sethe, Die Einsetzung des Veziers unter der 18. Dynastie, (Unters. V.)

(٥) P. E. Newberry, The Life of Rekhmara, plate 4.

ولقد كان من أشد عيوب هذا العصر انتشاراً تفشي الرشوة بشكل محسوس ظاهر بين محصلي الضرائب وموظفي الحكومة من قضاة وغيرهم لأنهم أمنوا إشراف رؤسائهم على أعمالهم فأصرفوا في استخدام نفوذهم في ابتزاز الأموال من الأهالي فعم الخلل كل الأعمال الحكومية . لذلك كان أول ما قام به حورمحب حين تولى العرش القضاء على هذه الحال وعلاج هذه العلل المتفشية فدرس أسبابها وعللها وسن قانوناً من عدة مواد بعضها خاص بالمرافعات وبعضها الآخر بالعقوبات .

وقد نقش مواد هذا القانون على لوحة حجرية طولها ٥ أمتار وعرضها ثلاثة أمتار بالأقصر <sup>(١)</sup> غير أن مما يؤسف له أن هذه المجموعة وصلت إلينا مهممة فصاع بذلك أكثر من ثلثي نصوص هذا القانون .

وقد وجدنا صوراً لهذا القانون في جهات أخرى مثل أبيدوس <sup>(٢)</sup> مما يدل على أن الملك تولى نشرها على الشعب في أمكنة مختلفة مخصصة لذلك . غير أن ما وجد من صور هذا القانون كان في حالة أسوأ من لوحة الأقصر .

وقد اكتشف هذا القانون ماسيرو <sup>(٣)</sup> سنة ١٨٨٢ بجوار بوابة حورمحب في معبد الكرنك بالأقصر ويبدأ الملك هذه اللوحة بقوله : « من جلاتي هذا القانون وأصدرته لضمان رفاهية شعبي » فيتضح من هذا صفة الملك حورمحب كصالح وكشرع . ثم يسرد مواد القانون ثم يقول في آخر اللوحة « نفذوا أوامري التي أصدرتها . . . نظراً لما شاهدته من الظلم الصارخ بهذه البلاد » فن ذلك يظهر أن الغرض من وضعه هذا القانون غيرته على راحة شعبه وعلى تخليصه من الظلم الذي كان واقعاً عليه .

وأعجب ما في هذه الصيغة أنها تذكرنا بالصيغة الحديثة للقوانين إذ تشمل الإصدار والتنفيذ .

(١) Breasted, Ancient Records, III §. 45-67

(٢) P. Lacau, Stèles du Nouvel Empire. I, 203

(٣) G. Maspero, Note on the life and Monuments of Harmhabi (in, I. h. Davies. The Tombs of Harmhabi and Tout-ankh-Amoun, 1912).



## (١) مواد القانون

المادة الأولى — خاصة باستعمال القسوة مع الأهالي عند جمع الضرائب<sup>(٢)</sup> وعن يسلب ضرائب البيرة والمطابخ الملكية من الأهالي ، فمن يوجد معه هذه الضرائب المسلوقة أو المراكب التي تحملها تجدد أنفه وينفى إلى بلدة نارو<sup>(٣)</sup> سواء أكان الغاصب جندياً في الجيش أم أي رجل آخر .

المادة الثانية — خاصة بإتزاز مال الاهالي عن الاخشاب المستحقة للملك . (وعقاب من أتى ذلك غير موجود بسبب الكسر) .

المادة الثالثة — خاصة بإعفاء الشخص الذي سرقت منه الضرائب المستحقة وهي في طريقها إلى السراي الملكية (ديوان الحكومة) . (وعقاب من سرق الضرائب غير موجود بسبب الكسر) .

المادة الرابعة — خاصة بسرقة الضريبة المستحقة للحريم الملكي والضريبة التي في شكل هبات للآلهة بواسطة الجنود فكل جندي يرثي تجدد أنفه وينفى إلى بلدة نارو  
المادة الخامسة — خاصة بسرقة جمع نبات خاص يدعى «كت» وقد اندثر وكان يستعمل للعلاج . (وبسبب الكسر فإن هذه المادة غير واضحة) .

المادة السادسة — خاصة بسوء معاملة العبيد من الذكور والإناث (وتكلمة هذه المادة غير واضح بسبب الكسر) .

المادة السابعة — خاصة بسرقة ضريبة الجلود فكل جندي أو جابي ضرائب علم عنه أنه دخل المساكن قبل ميعاد حلول الضريبة لأجل سرقة الجلود يحكم عليه بمائة جلدة ويجرحه في خمسة مواضع وتسترجع منه الجلود المسروقة .

(١) آسف لعدم امكاني الآن اعطاء ترجمة حرفية لنصوص مواد هذا القانون وذلك لاني تمهدت بعدم نشرها لحين طبعي الاصل الهيروغليفي .

(٢) وكانت الضرائب في ذلك العهد تدفع في شكل مواد أولية كالاخشاب والخضروات والجلود وما أشبه .

(٣) ونارو هذه بلدة بمنزلة على الحدود الاسيوية بجوار النقطرة .

المادة الثامنة — خاصة بالمفتشين العديدين القدمة المتواطئين مع محصيلي الضرائب التي ينفق منها على الرحلات الملكية .

المادة التاسعة — خاصة بسرقة ضريبة الخضراوات ( وعقاب من لم يراع نظام جمع الضريبة من الموظفين المختصين غير موجود بسبب الكسر ) .

المادة العاشرة — خاصة بمجمع ضرائب الجبوب ( ومعظم نصوص هذه المادة ضائع بسبب الكسر ) .

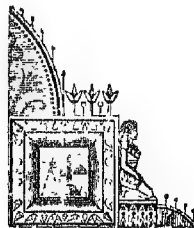
المادة الحادية عشرة — خاصة بشروط تعيين القضاة في أنحاء المملكة المصرية .

المادة الثانية عشرة — خاصة للتعليقات اللازمة للقضاة . على سبيل المثال « ليحكموا بالعدل بين الناس » و« حذرهم الملك من الاختلاط مع عامة الشعب وحذرهم من الرشوة قائلًا : « لا تأخذوا أي هدية من أحد وإلا فكيف يمكنكم أن تحكموا بالعدل اذا كنتم أنفسكم جناة على القانون » .

المادة الثالثة عشرة — خاصة بترتيب أنواع المحاكم المختلفة ( وبالأصف معظم هذه المادة غير واضح بسبب الكسر ) .

\*\*\*

من هذا نرى أن المشرع المصري قد وضع نصب عينيه حماية الشعب مع مراعاة المصالح العام ، وملحوظ في هذا التشريع أيضاً أن العقوبات البدنية كان لها شأن كبير .  
وترينا هذه المواد الناقصة بالأجمال عناية المصريين القدماء بسن القوانين المنظمة لجباية الضرائب وتنظيم الحاكم .



## شيء عن القانون الجنائي عند الفراعنة

ذكرنا أن أول مجموعة قانونية معروفة عند الفراعنة هي مجموعة الملك حورمحب<sup>(١)</sup> ورأينا أنها تشمل مواد خاصة بالعقوبات ومواد أخرى خاصة بالمرافعات .  
وفضلاً عن هذه المجموعة بقيت لنا أوراق بردية ونقوش متعددة ورد فيها ذكر الجرائم مختلفة . وسنذكر هنا الجرائم والعقوبات التي وردت في مجموعة قوانين الملك حورمحب وبعض جرائم وعقوبات أخرى من أوراق البردى والنقوش . مرتبة حسب أهميتها ومعرفتنا لها .

### أولاً — جريمة الاعتداء على الملك<sup>(٢)</sup>

ميز قدماء المصريين هذه الجريمة عن غيرها من جرائم الاعتداء الأخرى . وقد وصلتنا نصوص تثبت لنا محاولة الاعتداء على حياة الملك ، أهمها المشروع في اغتيال حياة الملك إبهي الأول<sup>(٣)</sup> والملك امنمحات الأول<sup>(٤)</sup> واغتيال حياة الملك امنمحات الثاني<sup>(٥)</sup>

- (١) مجلة « القانون والاقتصاد » العدد الخامس من السنة الحادية عشرة صحيفة ٦٣٣ وما بعدها .  
(٢) « قانون العقوبات » المعمول به في مصر لغاية مؤتمر مؤتمر مونتريه مادة ٧٧ .  
(٣) K. Sethe, Urkunden des Alten Reichs, 1932, II, 99; J. H. Breasted, Ancient Records of Egypt I 142. الملك إبهي الأول هو ثالث ملوك الأسرة السادسة من الدولة القديمة ( أي عصر الوحدة الأولى وحاش حوالي سنة ٢٥٩٠ ق . م .  
(٤) Grieffith, Zeitschrift fuer Aegyptische Sprache und Altertumskunde, Vol. 34 p. 35 ff.; Breasted, Ann. Records of Egypt, I, 228 ff. الملك امنمحات الأول هو أول ملوك الأسرة الثانية عشرة من الدولة الوسطى ( عصر الوحدة الثانية ) وحاش حوالي سنة ٢٠٠٠ ق . م .  
(٥) W. G. Waddell, Menetho, London 1940, p. 67. الملك امنمحات الثاني هو ثالث ملوك الأسرة الثانية عشرة من الدولة الوسطى وحاش حوالي سنة ١٩٣٨ ق . م .

والشروع في اغتيال حياة الملك رمسيس الثالث (١).

ولما كان ما وصل إلينا عن محاولة اغتيال الملك بيبي الأول وكذلك الملك امنمحات الأول وكذلك عن اغتيال الملك امنمحات الثاني على غاية من الاختصار بعكس ما نعرفه مفصلاً عن حادث محاولة اغتيال الملك رمسيس الثالث ، لهذا سنقتصر كلامنا عليه .

كان ذلك حوالي سنة ١١٦٧ قبل الميلاد وكانت العادة المعروفة في توارث العرش عند الفراعنة أن يؤول العرش للابن الشرعي الأكبر للملك . وكان للملك أن يتخذ فضلاً عن زوجته الشرعية زوجات آخر ليست لهن هذه الصفة ويعتبر أولاده منهن غير شرعيين . وكان ابن رمسيس الثالث الشرعي الذي صيخلفه في الملك يدعى « الأمير بنتاور » . وقد علمت الملكة « تي » زوجة الملك رمسيس الثالث الشرعية أنه اعزم أن يورث عرشه أحداً أبناؤه غير الشرعيين دون ابنها الأمير « بنتاور » .

لذلك رغبت في تدبير مؤامرة لاغتيال حياة الملك رمسيس الثالث فاتفقت مع بعض الضباط ونساء بعضهم ومع كبار موظفي القصر الملكي وعلى رأسهم « بنتاور » ولي العهد على قتل الملك والتخلص منه حتى يخلص الملك لابنها « بنتاور » .

إلا أنه قبل تنفيذ المؤامرة عدل أحد أفرادها عن الاشتراك فيها فكان لعدوله الأثر الأكبر في فشلها . وافترض أمرها . فشككت محكمة من أربعة عشر قاضياً ( وكان المتبع في ذلك الوقت أن يجلس للحكم في القضايا الجنائية عدد من القضاة يتراوح بين ستة وثمانية )<sup>(٢)</sup> ضماناً لعدالة الحكم . ولو أنه كان للملك بحكم سلطانه الإلهي الحق في إعدامهم دون الرجوع إلى القضاء .

ولكى تأخذ العدالة مجراها لم يكتف بأنه أوصى القضاء بعدم التأثر بأي عامل خارجي

(١) Lemm, Aegyptische Lesestücke p. 108 ; Breasted, Anc. Records, IV p. 210 ff.

الملك رمسيس الثالث هو ثاني ملوك الأسرة العشرين من الدولة الحديثة ( عمر الوحدة الثالثة ) وطاش حوالى سنة ١١٩٨ ق . م .

(٢) E. Seidl, Rechtsgeschichte, Übersetzungen und Abhandlungen zum vortptole-mäischten Rechte Agyptens, in Kritische Vierteljahresschrift für Gesetzgebung und Rechtswissenschaft p. 228.

عند إصدار أحكامهم على المتآمرين بل تنجى عن حقه في أنه المرجع الأخير في تقرير العقاب كما هو المتبع عادة في القانون الجنائي بخلاف القانون المدني إذ كان الوزير هو المرجع الأخير<sup>(١)</sup>.

وقد أصدرت المحكمة أحكاماً مختلفة فبرأت المتآمر الذي عدل عن الاشتراك في الجريمة وحكمت بإعدام الأمير « بنتاور »<sup>(٢)</sup> ومعظم المتآمرين والمتآمرات<sup>(٣)</sup>. ونحن نرى شبيهاً كبيراً بين ما اتخذته المحكمة من تبرئة المتآمر الذي عدل عن الاشتراك في المؤامرة وما يتبعه القانون الحديث حيال « شاهد الملك ». نستنتج من هذه الجريمة التي وصلت إلينا تفاصيلها عدّة نتائج على غاية من الأهمية في تاريخ القانون :

معرفة القرائنة لجريمة الاعتداء على حياة الملك وتفريقهم بينها وبين الجرائم الأخرى . ورأينا أن الملك قد امتنع عن القضاء في هذه الجريمة التي تمسه شخصياً خلافاً لما كان متبعاً في الجرائم الأخرى من أنه المرجع الأخير في تقرير العقوبة . وبذلك نرى احتراماً وتطبيقاً لمبدأ الفصل بين السلطات .

كذلك نرى أن العقاب الذي وُقع على المشتركين في المؤامرة هو نفس العقاب الذي كان ينالهم لو أننا طبقنا القانون الجنائي المصري الحالي وهي عقوبة الإعدام<sup>(٤)</sup> . وأن المتآمر الذي عدل عن الاشتراك في الجريمة كان جزاء عدوله البراءة . وهذا يشابه في نتيجته العملية ما هو متبع في العصر الحديث<sup>(٥)</sup> إذ أن الذي يعدل عن ارتكاب الجريمة باختياره ومن تلقاء نفسه يعفى من العقاب مع الفارق الفني الضئيل بين البراءة والإعفاء من العقوبة .

(١) تناولنا بحث هذه النقطة بالتفصيل في كتابنا :

“ Die Innere Verwaltung : Die Stellung des Königs und des Wesirs im Ramessidenreich ” . الذي سيظهر قريباً والذي أشار إليه الاستاذان شارف وزيدل في كتابهما .

“ Die Rechtsgeschichte des alten Aegypten ” .

(٢) وقد طلب من الأمير « بنتاور » أن ينتحر ( قارن ما كان متبعاً عند اليونان ) .

(٣) كما حكمت بقطع آذان وأيدي من سهل للمقاصرين تنفيذ الشروع في المؤامرة دون الاشتراك معهم .

(٤) قارن « قانون العقوبات » المعمول به في مصر لناية مؤتمر مونترية مادة ٧٧ .

(٥) قارن « قانون العقوبات » المعمول به في مصر لناية مؤتمر مونترية مادة ٨٧ .

## ثانياً — جرائم السرقة :

كانت سرقات القبور شائعة في العصر الفرعوني نظراً لاحتوائها على أشياء نفيسة بل على كل ما هو لازم لحياة الانسان في العالم الآخر .

ومن أهم الأمثلة لهذا النوع من الجرائم ما حدث حوالي سنة ١١٢٠ ق . م . من سرقة عدة مقابر لأفراد وموظفين وملوك دفنوا منذ حوالي خمسمائة سنة من تاريخ السرقة <sup>(١)</sup> ويفهم من تطبيق العقوبة عليهم وغم اندثار أقارب الموتى بعد هذا التاريخ الطويل أن هذه الجريمة كانت تعتبر في حكم ما نسميه نحن الآن « حق النظام العام » فكانت الدولة هي المجني عليها في هذه السرقات باعتبار أنها مخلة بأمن المجتمع وكيانه .

وكان عقاب هذه الجريمة أن يعدم المجرم على الخازوق <sup>(٢)</sup> أو ينجس ( يسجن ؟ ) <sup>(٣)</sup>.

ومن أمثلة جرائم السرقة أيضاً ما نص عليه في قانون « الملك حورح » فقد نص في المادة السابعة من مجموعات قوانينه على عقاب سارق ضريبة الجلود : بضربه مائة جلدة وبجرحه في خمسة مواضع <sup>(٤)</sup>

ومن أمثلة جرائم السرقة أيضاً ما نص عليه في معاهدة التحالف التي عقدت بين الملك رمسيس الثاني وبين ملك الحيثيين : « اذا ارتكب أحد وطايا الطرفين سرقة وجب نفيه وتسليمه لدولته » <sup>(٥)</sup> فهذا النص الصغير الصريح يدل على أن النفي كان محتملاً على كل فرد من رعية أحد المتحالفين اذا ما ترك وطنه لسبب جنائي <sup>(٦)</sup>

T. E. Peet The Great Tombrobberies of the Twentieth Egyptian Dynasty, (١) Oxford 1930. 2 Volumes.

(٢) وكانت هذه هي طريقة الأعداء الشائعة عديم ومن الغريب أنها كانت موجودة في العصر التركي وآخر ما وصلنا عنها ما وقفه رجال الاحتلال الفرنسي على « سليمان الحلبي » لقتله « كليبر »  
(٣) كان الحكم بإعدام السارق على « الخازوق » يوقع على من لمس المومياء وبمقتوبة الحبس « السجن ؟ » على من سرق ولم يلمس المومياء .

(٤) وتسترجع كذلك من السارق الجلود المسروقة . يلاحظ ما هو متبع في القانون الروماني من أن جريمة السرقة لا يعاقب عليها إلا اذا طلب أصحاب المسروقات اتخاذ الإجراءات القانونية ( راجع بالتفصيل ككتاب الأستاذ علي بك بدوي : « أبحاث التاريخ العام للقانون » الجزء الاول سنة ١٩٣٦ صحيفة ١٢٣ ) . وكتاب الدكتور بدر : القانون الروماني ١٩٣٧ .

Breasted, Ancient Records III, § 392 ff. (٥)

(٦) وهذا يذكرنا في القانون الحديث بنظرية « تسليم المجرمين » .

### ثالثاً — جريمة اختلاس الأموال الأميرية :

عقابها واضح في قانون الملك « حور محب » وهو جدد أنف المختلس ونفيه الى بلدة « ثارو » على الحدود الشمالية الشرقية . راجع المادة الأولى من مجموعات قوانين الملك « حور محب » .

### رابعاً — جريمة الرشوة

من جرائم الرشوة ما نص عليه في قانون الملك « حور محب » فقد أُصِّح في المادة الرابعة من مجموعات قوانينه على عقاب المرتشي بالذني الى الحدود وجدع أنفه .

### خامساً — جريمة شهادة الزور

يختلف العقاب فيها باختلاف أهمية الشهادة وعقوبتها تتراوح بين حبس ونفي (١)

### سادساً — جريمة هتك العرض

يختلف العقاب في هذه الجريمة باختلاف حالة السيدة ومكانتها في الهيئة الاجتماعية متزوجة أو غير متزوجة ، وباختلاف حالة الجاني إن كان من الخدم أو الأقارب أو الاتباع وهكذا (٢) وهناك جرائم أخرى خلاف هذه الجرائم السابقة الذكر كالتزوير في المستندات الرسمية (٣) ولكننا غير واضحة لتلف في النصوص التي وصلتنا عنها .  
يتضح لنا مما ذكرنا ما كان عليه القانون الجنائي عند الفراغ من رقي وما كانوا يتخذونه في إقامة العدل بين الناس .

(١) E. Seidl, Rechtsgeschichte, Übersetzungen und Abh., in Krit. Vierteljah., p. 228 ff

(٢) Cerny, Papyrus Salt, Journal of Eg Arch., XV, 243, ff.

(٣) Gardiner, Inscription of Mes, in Sethe, Untersuchungen, IV, 3 ff.

## دور العدالة

في مصر القديمة

### ١ - الحاكم الوطنية

تقديس المصري للعدل ظاهر في النصوص والأساطير المختلفة عن عصور التاريخ المصري القديم ، ولم تقل عناية الشعب والقائمين على شؤونه بهذه الناحية الاجتماعية عن عنايتهم بعبادتهم وتقديسهم لآلهتهم، وذلك لأن العدل أساس الملك، والعدالة شرط لا بد منه إذا أريد للدولة الحياة وللأمة البقاء .

فلا عجب إذن أن نرى للعدل إلهة تدعى « معات » تهيمن على منليها في الأرض كالملك والوزراء والقضاة وسائر الأفراد . فالمعبودة « معات » هي التي ينتسب إليها القاضي ويدعى كاهنها ، و « معات » هذه هي التي كانت تتحلّى بتمثالها الصغير القلادة التي يلبسها القاضي ، حول عنقه عند النظر في القضايا ، ولعلّها في ذلك الوقت كانت تشبه صورة ملك البلاد باعتبارها حامياً للقضاء تتوج كل قاعة من قاعات العدل في وقتنا الحاضر ليطمئن المظلوم ويرهب الظالم .

فقد ورد في قصة بردية ( الفلاح ) أن « موظفاً حكومياً كبيراً في جهة الفيوم نازع فلأحاً صغيراً على ملكية منقول صغير فقدمت القضية الى المحكمة فأصدرت الحكم في مصلحة الفلاح الصغير ولم يستطع الموظف الكبير استغلال سلطة وظيفته .

ولم تقتصر المساواة على شيوخها بين الكبير والصغير بل شملت ما هو أهم وأدق من هذا فقد ثبت من أوراق بردية ( ابوت ) أن جماعة من الشعب وموظفي القصر الملكي شرعوا في قتل رمسيس الثالث فرعون مصر ولكنه حرصاً منه على العدل كتب الى قضاته قائلاً



ما ترجمته : « إن هؤلاء متهمون خفقوا في أمرهم بروح العدل » .

ومما يدل كذلك على عظم اهتمام الدولة الفرعونية بتقديس العدل وسرعة البت في القضايا والشكاوى وعدم المحاباة ما جاء في وثيقة تاريخية عن نظام القضاء بمقبرة « رخي رع » أحد وزراء الملك تحتمس الثالث .

فقد ورد في هذه الوثيقة بيان الاختصاصات والمهام القضائية التي عهد فيها الملك الى وزيره عند تعيينه رئيساً للوزراء ووزيراً للعدل فقد كان الوزير هو القاضي الأول في الجلسة ومعه قضاة آخرون وكان يحمل في عنقه صورة المعبودة « معات » رمز العدالة

وكانت الهيئة تسمع المتقاضين في جلسة علنية واحداً واحداً ولا تسمع بسمع متأخر قبل متقدم . وكان يقف في الجلسة كنية لتسجيل كل ما يدور بشأن القضايا وموظفون إداريون لتنظيم صفوف المتقاضين حسب ما هو وارد في جدول الجلسة .

ولم يكن القانون المصري القديم يبيح الاطالة في القضايا والشكاوى بل يعيل الى الفصل فيها بسرعة فان تقدمت للوزير على سبيل المثال شكوى عن أرض بعيدة عن العاصمة أرسل مندوباً لتحقيقها في خلال شهرين وان كانت قريبة من العاصمة حققت في خلال ثلاثة أيام طبقاً للقانون .

وسجل الوزير « رخي رع » أممى مظهر للعدالة بمقبرته في طيبة فانه كان يحول بين الشعب في الصباح الباكر ليسمع شكاوى الشاكين على اختلاف مراتبهم لكي يرفع الظلم عن المظلومين الذين لا يستطيعون الوصول إليه أو الى مجلس القضاء لفقرهم أو لجهلهم بالقانون . وكان يكلف الكتبة الذين بصحبته أن يكتبوا ما يعليه عليهم الشاكون الإميون .

فن هذه الأمثلة الموجهة تبين مقدار احترام أسلافنا المصريين للقانون ومحبتهم للعدالة والدقة مع السرعة في تنفيذ القانون بما يكفل الطمأنينة لجميع أفراد الشعب على السواء .

ولتعميم العدالة في البلاد أنشئت في مصر القديمة محاكم من نوعين ، مدنية وجنائية — وكان اختصاص المحاكم المدنية الفصل في المنازعات العقارية من انتقال ملكية أو بيع أو شراء أو هبة أو وصية أو ميراث أو إيجار وما الى ذلك — وكانت المحاكم المدنية على ثلاث درجات : —

١ - - محاكم كانت تعقد في القرى أو المدن الصغيرة - وكان يطلق عليها عادة في اللغة المصرية القديمة إسم « جاجات » بمعنى مجالس قضائية ، وكان القضاة ينتخبون من الطبقة الخاصة من الموظفين المعروفين باسم « مرو » أي « الكبار » وكانت تعقد جلسات هذه المحاكم بإشراف حاكم القرية .

٢ - الثانية محاكم عواصم الأقاليم - أو بالمصرية القديمة « حات ور » أي البيت الكبير وكانت تنظر في القضايا التي تشبه تلك التي تنظر أمام محاكم الدرجة الأولى وينتخب قضاتها من طبقة كبار الموظفين السابقة . وكانت تعقد جلساتها برئاسة حاكم الأقليم - ووزير العدل هو الذي كان يعين قضاة محاكم الدرجتين الأولى والثانية .

٣ - الثالثة وهي محاكم استئنافية - تنظر أمامها قضايا محاكم الدرجة الأولى والثانية وتسمى « سوني حات ور » ويمتار قضاتها الستة من أعضاء مجلس العشرة وكان يرأسها الوزير بصفته وزيراً للعدل والمملك هو الذي يعين قضاة هذه المحاكم الاستئنافية .

ومما هو جدير بالذكر أن القاضي كان يعرف في المصرية القديمة باسم « ساب » أي المصلح إشارة الى مهمة القاضي والغرض من القضاء ، وهذا النوع من المحاكم لم يلازم الشعب المصري القديم في جميع عصوره ، بل تحول مع مرور الزمن . ففي عصر الوحدة الثانية ( الدولة الوسطى ) ظهر نوع آخر يعرف باسم « قنبت » واستمر في عصر الوحدة الثالثة ( الدولة الحديثة ) وامتاز بأن يجلس للحكم في القضايا الجنائية عدد من القضاة يراوح بين ستة وثمانية . وكانت المحاكم الاستئنافية لهذا النوع من المحاكم تسمى « قنبت ها » . واستمر الحال على هذا المنوال حتى عصر البطالمة فبقيت هذه المحاكم الوطنية لتطبيق القانون المصري في النزاع بين المصريين والفصل في قضاياهم وصميت باليونانية « محاكم الـ Laocritae »

### ٣ - المحاكم المختلطة

وقد لا يعرف الاقليل انه كان في مصر القديمة ما يسمى بالمحاكم المختلطة أنشئت لظروف خاصة وزالت بزوال تلك الظروف .

فقد كانت تطبق على الاغريق القوانين الاغريقية في محاكم اغريقية تسمى محاكم

الـ Chremaitistae « إذا كان فريقا النزاع منهم ، وهي تشبه المحاكم القنصلية ، ولكثرة زواج الأغريق الى مصر بعد غزو الاسكندر الأكبر لمصر سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ثم قيام أسرة ملكية جديدة للبطلمية .

ولما زاد عدد الأجانب الذين وفدوا على مصر وكثرت المداوولات التجارية مع وجود اختلاف بين القوانين المصرية المحلية والأغريقية ونشوء المنازعات بين الأجانب والمصريين واختلاف اللغة الأغريقية عن المصرية القديمة وضرورة الفصل في هذه المنازعات ، أنشئت محاكم جديدة عرفت باسم « Koinodikion » أي محاكم مختلطة « إبتدائية في الفيوم أو الإسكندرية وطيبة ومحكمة استئناف مختلطة في الاسكندرية ( مقر الملك ) تضم عدداً من القضاة اليونان أو المقدونيين والمصريين .

ولما انقضى الغرض الذي من أجله أنشئت هذه المحاكم زالت بزواله . وفي الوقت عينه تقلص حكم الدولة اليونانية المعروفة بدولة البطلمية وحلّت الامبراطورية الرومانية محله .

وكان يشمل اختصاص محاكم الـ Koinodikion هذه القضاء المدني والقضاء الجنائي ونذكر بهذه المناسبة أن خلافاً نشب بين شخص يدعى Marres وشخصين آخرين على تقسيم كرم . وبينما كان عمال ماريس هذا يشتغلون في الكرم جاء شخص رابع وطردهم ولكن الشخصين أطلقا أغنامهما في الكرم فأتلقت الزراعة عمداً .

فقدم ماريس شكوى لرجال البوليس يطلب تقسيم الكرم وتعويضه عن الخسائر التي تسببها فيها مع الشخص الرابع ولمعاقبة الشخص الرابع .

فأشّر قائد البوليس على الشكوى بأنه في حالة العجز عن التوفيق بينهم تمحال الشكوى على المحكمة المختلطة .

## الفصل الرابع

### بحوث أثرية

- ١ — منارة الاسكندرية
- ٢ — سراييوم « الاسكندرية »
- ٣ — مصر العتيقة والحصن الروماني
- ٤ — الاثر الديني في الفن القبطي
- ٥ — أدوات زينة المرأة في العصر القبطي

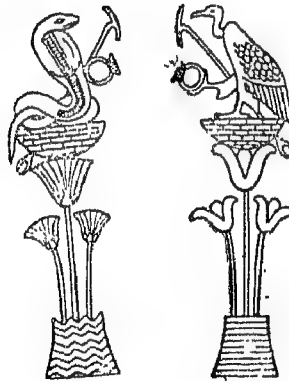


## منارة الاسكندرية

كان لاسطول بطليموس الأول - الملقب باليونانية (سوتر) وبالصيرية (نبح) أي الخالص - السيادة البحرية التامة على البحر المتوسط ، فتقدمت المدينة التجارية بالإسكندرية تقدماً عظيماً خاصة طول مدة حكمه كوال ( ٣٢٣ - ٣٠٥ ق . م ) أو كملك ( ٣٠٥ - ٢٨٢ ق . م ) وقد بذل جهوداً جبارة لضمان تقدم البلاد تجارياً ورفع مستواها أدبياً وعلمياً ، فقام بكثير من المشروعات العمرانية الخالدة كبنائه منارة الإسكندرية الشهيرة لهداية السفن على جزيرة ( فاروس ) عند مدخل الميناء ، وهي تعتبر أول منارة عرفها العالم القديم ، كما أنها أكبر منارة حتى يومنا هذا وهي تعدُّ إحدى عجائب العالم السبع . وقد جرت عادة بعض المؤرخين إلى نسبة بنائها إلى الملك بطليموس الثاني الملقب ( فيلادلفوس ) إلا أن الحقيقة العلمية لا تقرُّهم على هذا الرأي ، فقد ثبت أخيراً أن مشييدها الحقيقي هو بطليموس الأول الذي أَمْسَد مهمة الإشراف على بنائها للمهندس ( اليوناني Sostratus ) الذي نشأ في بلدة ( كنيديوس Cnidus ) إحدى البلاد اليونانية ثم أتبعته له الفرصة فأنضم إلى حاشية بطليموس الأول . وقد ظلت هذه المنارة قائمة حتى القرن الرابع عشر الميلادي حيث هدمها زلزال شديد عام ١٣٠٧ م . ومن حسن الحظ أننا نجد وصفاً مستفيضاً لهذه المنارة في مؤلفات كثيرين من المؤلفين المتقدمين أمثال ( سترابون ) و ( يوسيفوس ) و ( ابن الصائغ ) و ( ياقوت ) كما وصلتنا أيضاً صورة لهذه المنارة على بعض قطع من العملة الرومانية التي عثر عليها أخيراً . ومن الأوصاف التي وردت في تلك الكتب وعلى بعض قطع النقود نستطيع أن نقول إن هذه المنارة كانت مشيدة في فناء ربيع يحيط به سور عظيم من جهاته الأربع وكان خارج هذا السور رصيف يسير عليه الناس . أما المنارة نفسها فكان ارتفاعها مائة متر ، وتنسكون من ثلاث طبقات بعضها فوق بعض ، فكانت

السفلى مربعة الأضلاع والوسطى مثمثة ، أما الطبقة العليا فكانت مستديرة ، ويعلموها تمثال رجل من النحاس يحمل مصباحاً .

وقد أطلق على هذه المنارة اسم الجزيرة التي شيدت عليها أعني ( فاروس ) فأصبح هذا اللفظ يدل في اليونانية وكثير من اللغات الهندية الأوروبية على معنى ( منار ) والذي أصبح في العربية ( فئار ) وفي الفرنسية ( فار Phare ) وفي الإنجليزية ( فاروس Pharos ) . ويعتبر علم الآثار هذه المنارة أقدم بناء من هذا النوع عرفه العالم ، وأن هذا البناء أصبح فيما بعد مثالا يحتذى عند بناء جميع منارات العالم قديماً وحديثاً ، بل تحفة فنية من تحف فن العمارة والزخرفة والهندسة التي ترجع الى ذلك العصر السحيق .



## سرايوم معبد الاسكندرية

منذ أعوام قلائل اكتشف رجال متحف بلدية الاسكندرية بمجوار عمود السواري آثاراً ترجع الى عهد الملك بطليموس الثالث . وقد فوهت بها بعض الصحف يومئذٍ وذكرت أن بينها لوحات ذهبية تدل على أن بطليموس الثالث هو المنشئ لسرايوم الاسكندرية . غير انه قد اتضح من بحث المراجع الاثرية والادلة التاريخية أن منشئ سرايوم الاسكندرية هو بطليموس الاول لا الثالث .

ولقد كان الاسكندر الاكبر وحكام البطالمة يميلون الى مهادنة المصريين ومجاملتهم من الوجهة الدينية . ولذلك حذوا حذو ملوك الفراعنة فكانوا يزورون الآلهة المصرية في معابدها ، واتخذوا لانفسهم الألقاب المصرية التي ترجع الى تاريخ معبودات مصرية قديمة كاللقب الحوريصي نسبة الى الإله حورس ( إله السماء ) ، الذي كانوا يعتقدون انه يحمي حامل لقبه ، بل يعتبر من صلاته . واللقب صارع نسبة الى الإله رع ( إله الشمس ) ظناً منهم أن المسمى به يعتبر ابناً للإله رع .

ولم يكتف بطليموس الاول باستمالة المصريين وإرضاء كهنتهم بمنزل هذه الطرق ، بل فكر في طريقة أخرى لايجاد عبادة مشتركة يونانية مصرية تربط الشعبين . فغيّر اسم المعبود المصري ( العجل آبيس ) بتسمية مصرية يونانية ( أوسرجابي ، أي العجل آبيس المتوفي ) بسرايس . وعبدته المصريون في شكل الآلهة المصرية أزوريس أو العجل آبيس أو الإله أنوبيس . واليونانيون في شكل الإله اليوناني هادس ( إله الآخرة ) أو اسكابيوس ( إله الشفاء ) أو زيوس .

وبذلك أصبح كل من الشعبين لا يعتبر هذه الديانة رمزاً لديانة جديدة . فكلّف بطليموس الاول المهندس اليوناني Parmenissus پارمنيسوس إنشاء معبد



للإله سيرايس بالاسكندرية فأقامه مكان عمود السواري الحالي، وأطلق عليه اسم السرايوم  
وكان هذا المعبد أهم مركز لعبادة هذا الإله في عصر البطلمة .

وقد أضاف أيضاً بطليموس الأول هيكلًا جديدًا بسرايوم منف<sup>(١)</sup> للمعبود العجل  
آيس، وهو أحد أشكال الإله سيرايس على الطريقة المصرية كما تقدم . ويرجع تاريخ سرايوم  
منف الى الدولة الحديثة أو الى ما قبل هذه الدولة في بعض الآراء . ولا يمكن القول بأن  
بطليموس الأول هو الذي أنشأ سرايوم منف بناءً على التعديل الذي أجراه فيه<sup>(٢)</sup> .

كما أن وجود ألواح ذهبية باسم بطليموس الثالث بسرايوم الاسكندرية منقوش عليها  
أنه أهدى إلى سيرايس المعبد والحرم المقدس — لا يدل دلالة قاطعة على انشاء هذا  
السرايوم ، بل يستنتج من النقوش فقط إنه اهتم بتوسيع هذا المعبد أو بتجديد بنائه كما  
حدث في سرايوم منف في عهد بطليموس الأول لا سيما أن السرايوم يشمل عدة مباني .  
وقد وجد علماء الآثار ألواحاً ذهبية ببلدة كنوب ( بجوار أبي قير ) باسم بطليموس  
الثالث منقوشاً عليها أنه أهدى هو وزوجته برنيكا المعبد للإله أزوريس . فالقصد هنا  
أن الاهداء ينصب على ما أضيف بعرفتهما بهذا المعبد . وتوجد إحدى هذه الألواح بالمتحف  
البريطاني بلندن .

مما تقدم نستطيع القول بأن بطليموس الأول لا الثالث أنشأ سرايوم الاسكندرية<sup>(٣)</sup>

(١) سرايوم منف عبارة عن هياكل متصلة بمحاريب لدفن ما يموت من عجول آيس وكانت توضع  
جثث العجول في توابيت وتدفن بهذه المحاريب . وكانت وفاة العجل آيس تعتبر حادثاً تهتز له البلاد كلها  
وعند ما يكون العجل آيس على قيد الحياة كان يهش في مكان بجوار هيكل بتاح على مسافة أربعة أميال  
تقريباً داخل بقعة منزرعة من الوادي تدعى « آيوم »  
وعلاقة الإله بتاح بالعجل آيس هو أن المعبرين في عصر الدولة الحديثة كانوا يعتقدون أن روح الإله  
بتاح قد تقمصت بالعجل آيس

(٢) وفوق أهمية ما شيد به بطليموس الأول في سرايوم منف من الوجهة الدينية تقوم له أهمية فنية إذ  
أنه أول بناء في مصر معروف حتى الآن ظهرت فيه الأعمدة اليونانية الممثلة « كورنتي »  
(٣) وقد وصلت درجة عبادة الإله سيرايس الى حد جعل جميع المصريين يعبده ، وكذلك يونانيو  
مصر إذ أصبح إله الدولة . وفي المسائل القضائية ذكر اسمه في القسم  
كما أن عبادته انتشرت من الاسكندرية الى البلاد الاغريقية ثم فيما بعد الى الدولة الرومانية .

## مصر العتيقة

منذ عصر الملك مينا الى عصر الفاروق

والحصن الروماني

تقع مصر العتيقة على الضفة الشرقية من النيل جنوبي القاهرة ابتداءً من فم الخليج « رأس الدلتا » ، وكان يطلق عليها في العصور الفرعونية اسم « يخرى عحسا » أي ميدان الحرب ، ذلك لأنه نشبت بالقرب منها حروب بين أهل الشمال « الوجه البحري » وبين أهل الجنوب « الوجه القبلي »<sup>(١)</sup> وربما أطلق عليها اسم « كمت » أي « الأرض السوداء » لخصوبة تربتها . وكان يطلق هذا الاسم « كمت » على القطر عامة ، كما هو الحال حين يطلق الآن اسم مصر ويراد به « القاهرة » ، أو حين يطلق ويراد به على التعميم القطر المصري ، إلا أن تسمية « يخرى عحسا » أصبحت أكثر شيوعاً وانتشاراً من التسمية الثانية حتى عصر البطالمة . فعلى سبيل المثال نذكر أن نصوص عصر الوحدة الأولى « الدولة القديمة » المسكتوبة على حجر بالرمو ذكرت عند الكلام على الملك « نفريركارع » نحو سنة ٢٧٣٠ قبل الميلاد كلمة « يخرى عحسا » ، كما ذكرت أيضاً في نصوص الأهرام في فقرة ( ١٣٥٠ ) ، وكذلك في عصر الوحدة الثانية « الدولة الوسطى » وعصر الوحدة الثالثة « الدولة الحديثة » في النصوص المسكتوبة على لوحة أبي الهول ، وفي مقبرة الملك « سبتي الأول » ، وفي العصور المتأخرة

(١) ولتخليط ذكرى هذه الموقعة التي كانت خبيراً وبركة على سكان وادي النيل وشعب مصر نعت هذه التسمية « ميدان الحرب » حية حتى عصر البطالمة والفضل في ذلك يرجع الى العقيدة القائلة بأن تلك المعركة التي دارت رحاها في هذا المكان انما هي معركة بين اله مصر العليا ( حورس ) واله مصر السفلى ( ست ) وانتصار الاله ( حورس ) على الاله ( ست )

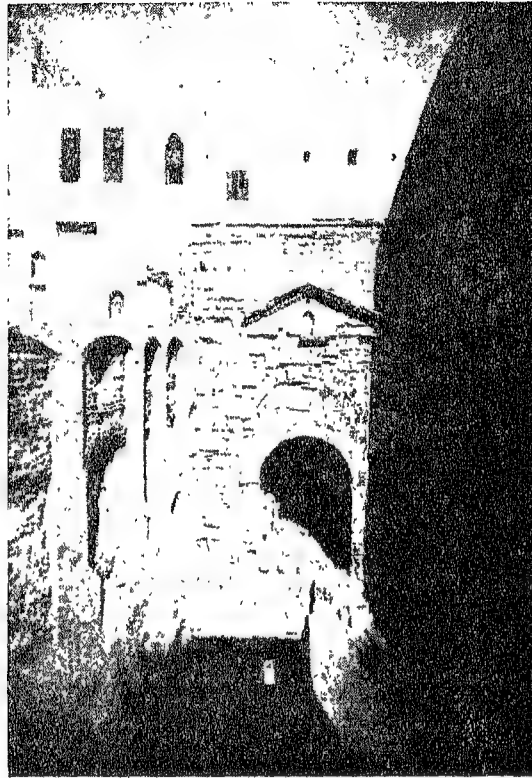
بلوحة « بمنجى » عند النوبة بأنه زار هذه البلدة في طريقه من منف إلى عين شمس .  
وقبل أن تصبح مصر ولاية رومانية عبّر عن « مصر العتيقة » باسم « بابليون مصر » كما هو وارد في النصوص اليونانية والقبطية ، وهي تسمية أكادية « آشورية » بمعنى « باب الله » أي دار أمان ، واتخذت فيما بعد عاصمة للرومان . وهناك من يرى أن معنى هذه التسمية « باب عين شمس » .

أما بعد الفتح العربي فقد أطلق عليها اسم « القسطنطين » . وكان قصد الرومان والعرب ومن قبلهم من هذه التسمية واحداً ، كما أن بعض الكتّاب العرب أطلقوا عليها اسم « قصر الشمع » ، وهي تسمية محرفة عن كلمة « كت » إحدى التسميتين الفرعونيتين مضافاً إليها كلمة « قصر » ومن الجائز أن تكون لفظة « قصر » أطلقت على بناء داخل الحصن ، إذ هي للقصر أقرب منها للحصن ، ومثبت بعد ذلك حتى وقتنا هذا باسم « مصر العتيقة » . ويستنتج من اختلاف هذه الأسماء لتلك المنطقة أن أدواراً تاريخية متشابهة قد مرّت بها . وبالرغم من كثرة العصور التي مرّت بها واستدعت إعادة تشييدها ، نظراً لتتابع الحروب في فترات مختلفة . فإن موقعها الجغرافي الحالي يكاد يكون في موقعها الأصلي منذ العصر الأول مع امتداد إلى جهة الشمال .

\*\*\*

كانت « مصر العتيقة » في أغلب العصور المتقدمة عاصمة البلاد ولا تزال ، إذ أن القاهرة عاصمة الملك الحالية تقع شمالها ، كما أن سراي القبة الحالية التي اختيرت في العهد الحاضر مقرّاً للملك تقع أيضاً في شمال القاهرة وكذلك مصر العتيقة تقع شمالي مدينة « إنبو حديج » ( الجدار الأبيض أو منف ) العاصمة الفرعونية الأولى لمصر حينما وُحِّدَت في عهد الملك مينا « نمرس » حوالي سنة ٣٢٠٠ قبل الميلاد . ويرجع السبب في اختيار « مصر العتيقة » عاصمة للبلاد وقوعها عند رأس الدلتا ، ولأنها تقع أيضاً عند أول الصحراء الشرقية ، ولها من هذه الناحية سيطرة حربية ، كما أنها تقع على النيل ، فهي ميناء نهري عظيم استخدم ولا يزال يستخدم في نقل الحبوب وغيرها . وكان السفر منها إلى جهات القطر المصري شمالاً وجنوباً سهلاً يساعد الحكومات على الإشراف الإداري مساعدة جديّة فعالة ، فهي لذلك مركز هام من الوجهة البحرية صوالة التجارية منها أو الحربية .

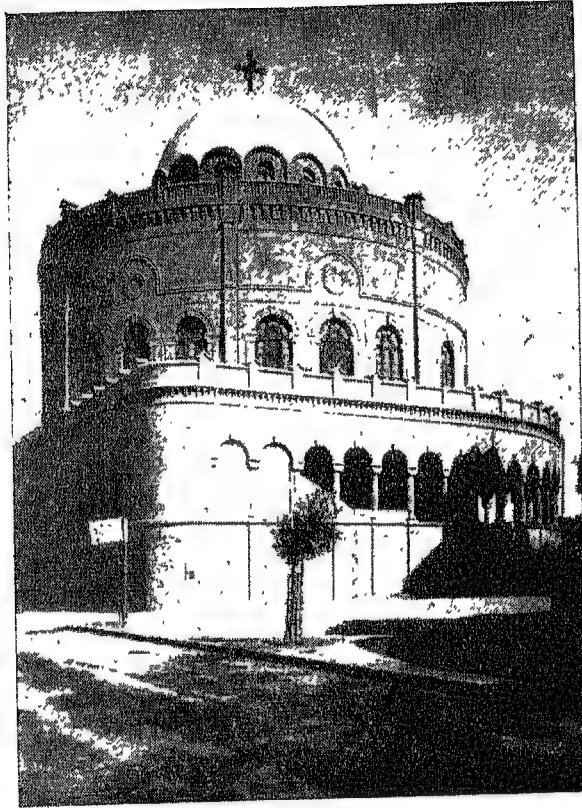
وقد كانت هذه المنطقة في جميع المصور موضع اهتمام الحكام والملوك . وأهم ما بقي فيها من مخلفات تلك المصور هو :



شكل ١ : الباب النبلي بين البرجين الجنوبيين  
( عن صورة مهداة من جلالة الملك فاروق الاول إلى المتحف القبطي )

أولاً : حصن بابليون — شيدته الفرس في عهد « قبيز » وسجده الرومان وجعلوه رمزاً لحضارتهم ، ثم أضافوا إليه تعديلات في عهد الامبراطور « أغسطس » ثم « تراجان » من بعده ثم من خلفهما من الابطارة حيث رابطت فيه حامية كان الغرض منها تحقيق الهدف الحربي والمسيادة التجارية ، ولا سيما أنه قدمراً أكثر من أربعائة عام من تأسيسه وهو باقٍ دون صيانة أو غناية بأمره . وذلك نتيجة انتقال العاصمة المصرية الى الوجه البحري ، ثم من هذه المنطقة الى الاسكندرية في عهد الاسكندر الأكبر وبن خلفه من البطالمة ،

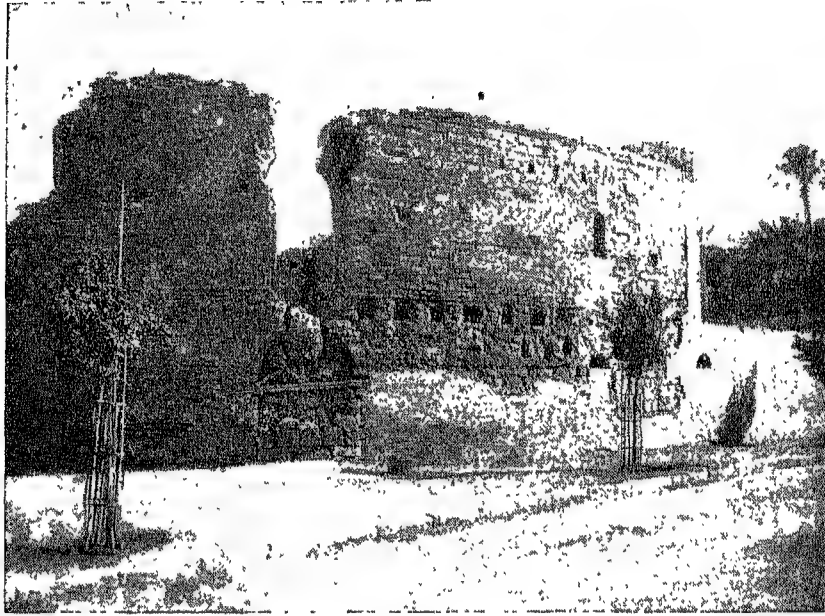
عندما ما استتبع ذلك من تهدم بعض أجزاء منه ، مما جعله في حاجة الى الترميم والإصلاح . وعلى الرغم من أن بعض العلماء قد خالفوا هذا الرأي . وقالوا بأن تراجان هو الذي أنشأ هذا الحصن في القرن الثاني الميلادي فإننا لا نميل الى الأخذ بهذا القول ، ذلك بأن الحقيقة الثابتة تدل على أن ديودور الصقلي عندما كتب تاريخه عن مصر حوالي سنة ٥٠ قبل الميلاد



شكل ٢ : البرج القائمة عليه كنيسة مارجرجس

( عن صورة مهداة من جلالة الملك فاروق الاول إلى المتحف القبطي تبين حالة الحدن قبل ترميمه )  
ذكر « بابلينون » ، كما أن إسترابون الاغريقي عند ما زار مصر سنة ٢٥ ق . م . أي قبل عهد تراجان بما يقرب من مائتين وثلاثين عاماً قال إنه « رأى في عين شمس المنازل العظيمة التي كان يسكنها الكهنة الذين درهوا الفلسفة والفلك ، وإن من يسر الى عين شمس في النيل متجهاً الى الجنوب يصل إلى بابلينون وهو موقع حصين » .

ولا تزال نرى بعض أبراج هذا الحصن حول جدران مباني المتحف القبطي ، فإذا ما تأملنا جدرانها الظاهرة من الخارج تبين لنا أنها على نبط البناء الروماني العادي وأنما ذات خمسة مداميك من الحجر الجيري الأبيض يتلوها ثلاثة مداميك من الطوب الأحمر . وأغلب أحجار هذا النوع مأخوذ من مبانٍ فرعونية لم تزل على بعضها نقوش هيروغليفية .



شكل ٣ : البرج الغربي القائم في حديقة المتحف القبطي  
(عن صورة مهداة من جلالة الملك فاروق الأول إلى المتحف القبطي تبين حالة البرج قبل ترميمه )  
ونرى أحد الجدران من الجنوب « الجهة القبلية » عبارة عن برجين كبيرين مستديرين يبلغ ارتفاع كل منهما نحو عشرين متراً ، وبينهما أحد أبواب الحصن (شكل ١) ، وعلى أحد هذين البرجين « كنيسة المعلقة الأثرية » . واكتشف في أطلال هذين البرجين نسر روماني ناشئ جناحيه .

وفي الجهة الغربية برجان آخران كبيران بينهما مدخل المتحف القبطي ، وأحد هذين البرجين مشغول بكنيسة مار جرجس الروماني (شكل ٢) . والآخر في حديقة المتحف (شكل ٣) . والأمل كبير في أن تظهر الحفائر المقبلة كهف بوابة تربط بين البرجين على

رصيف الميناء النهري القديم إذ أن النيل قديماً كان يمرّ بجوار جدران هذا الجزء من الحصن . وكانت منطقة الحصن على ضفة النيل حتى تأسيس القسطنطين .

كل هذا يدل دلالة واضحة على ما كان عليه هذا الحصن من مناعة تفوق مناعة الحصون التي شاهدها العلم الحديث ، وعلى دقة بناء هذا الحصن ، فقد بقي حافظاً شكله القديم مع أنه صرّ ما يربى على ألفي سنة على بنائه الذي تبلغ مساحته حوالي ٦٠ فداناً .

ثانياً : الكنائس الأثرية — وهذه الكنائس التي داخل الحصن الروماني هي : المعلقة ، وأبومرجة ، وقصرية الريحان ، ومار جرجس المصري ، ومار جرجس الروماني ، وأنبا شنودة ، ومار مينا ، والست بربرة .

ثالثاً : جامع عمرو — وهو أقدم جامع بني بالديار المصرية أسسه عمرو بن العاص عقب افتتاح العرب لمصر ، نحو سنة ٦٤٠ ميلادية أي بعد استيلائهم على الحصن الروماني ، وقد بحث الإصلاحات الكثيرة التي أجريت بالجامع قبل عهد صلاح الدين ، كثيراً من المباني الأولى التي كان يتألف منها الجامع في عهد عمرو بن العاص . وقد تجلّى في هذا الجامع فنّ العمارة والتصميم في العصور التالية لعهدده .



## الآثار الدينيوية

### في الفن القبطي

من الأمور المتفق عليها حتى العصر الحاضر بين علماء الآثار والمؤرخين أن الفن القبطي إنما هو فنٌ دينيٌّ مسيحيٌّ محضٌ يعبر عن فن الأديرة والكنائس ، مؤثراته دينية ، كما أن أغراضه دينية أيضاً ، بمعنى أنه لم يتأثر بمؤثرات دنيوية ، وإنه لم يرم إلى أغراض دنيوية (مدنية) .

وببدأ هذا الفن القبطي أو الفن البيزنطي في نظر هؤلاء العلماء منذ سنة ٣٩٥ ميلادية وقت أن أصبحت الديانة المسيحية ديناً رسمياً لمصر ، ويستمر حتى سنة ٦٤٠ ميلادية ، وهو وقت دخول العرب مصر .

ولكن إذا رجعنا إلى أصل كلمة قبطي وجدنا أنها في معناها ترادف كلمة مصري سواء بسواء ، بمعنى أن جميع سكان وادي النيل كان يطلق عليهم قبل غزو الإسكندر الأكبر لمصر بمدة طويلة اللفظ اليوناني « ايجهتيوس »<sup>(١)</sup> الذي حُرِّف بعد ذلك إلى لفظ قبطي .

وهذا يقطع بأن كلمة قبطي لا علاقة لها إطلاقاً بالزرعة الدينية ، بل كان لفظها يستعمل قبل دخول المسيحية مصر وفي عهد المسيحية وبعدها .

نخرج من هذا بنتيجة هامة وهي أن الفن القبطي كان فنّاً مصريّاً قبل أن يكون فنّاً دينيّاً كما هو الرأي الشائع حتى الآن .

ومجرد إعادة النظر في الآثار القبطية الموجودة بالمتحف القبطي ، وفي باقي المتاحف المصرية ، وكذلك في مختلف متاحف أوروبا وأمريكا ، وفي الأسباب التي استند عليها العلماء في رأيهم السابق ، وفي ما قام به العلماء من حفريات — يدلنا على أنهم مخطئون فيما يذهبون إليه ، فقد خضع الفن القبطي كغيره من سائر الفنون لمؤثرات البيئة التي نشأ فيها وهذه

(١) وفي لفظ Egypt في اللغات الأجنبية كالانجليزية والفرنسية والاطالية اسماً لمصرنا القديمة حتى اليوم



المؤثرات منها ما هو ديني ومنها ما هو دنيوي ، وهو ترجمان صادق للحياة المصرية في تلك الفترة من الزمن وما قبلها وما بعدها .

فثلاً وجد في كثير من المقابر والمباني المدنية آثار بغيضة الى الدين المسيحي والمتدينين به ، فالمتحف القبطي زاهر بصور العرافة وبأدوات الزينة من مكاحل وأمشاط وحلى السيدات من ذلك الخلائيل والأساور المحلاة برأس الشعبان (وهي العادة الفرعونية القديمة والمنتشرة حتى الآن) وما الى الخلائيل من العقود والخواتم التي على شكل زهرة اللوتس أو المحلاة بعلامة إيب الفرعونية (أي القلب) والحلقان الذهبية التي على شكل عنقود العنب ، والنياب المدنية المزركشة والمزخرفة بزخرفة فرعونية كالمجمل المجنح أو علامة عنخ الفرعونية (أي الحياة) وهي بلا شك من آثار الحضارة المصرية الفرعونية .

كذلك ترك لنا الفن القبطي آثاراً منزلية كثيرة عليها بعض مناظر لأشخاص عراف أو راقصين أو راقصات ، كما أن بعضها يشبه ما وجد في مقابر الفراعنة كالآواني الفخارية أو بعض الآواني المعدنية ، كالأناء الذي يشابه العلامة الفرعونية (حسى) أي ممدوح ، أو المعلقة الصدفية التي لها يد من حديد وتنتهي بشوكة وتشبه في شكلها تلك التي وجدت أخيراً في حفائر حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق المعظم بجهة حلوان وهي مصنوعة من العاج ويرجع تاريخها الى أوائل عصر وحدة مصر الأولى تحت عرش ملك واحد .

كما أن البعض الآخر من الآثار القبطية عليه مناظر نيل مصر ، من طيور ، وأممك أو نبات البردي ، أو التمساح أو المراكب ، والنيل بلا شك قوام حياة مصر في كل عصورها ، ولا علاقة لـكل هذا بالدين المسيحي لا من قريب أو بعيد .

كما أن هناك آثاراً عديدة من العصر القبطي لمصريين لم تكن المسيحية ديانتهم . وقد استوحى هذا الفريق من المصريين الذين لم يكونوا قد اعتنقوا المسيحية بعد في فنهم مؤثرات غير مسيحية ، وهذا يدل على أن الفن القبطي كان فنًا مشتركًا بين المسيحيين وغير المسيحيين من المصريين .

زد على ذلك أن على كثير من المباني رسوماً حيوانية كهيد الأسد أو الذوال أو الطيور أو مناظر لبعض نباتات مصر كالخيل والوتس والبردي والمان . وإن أصل الكثير من

هذه الرسوم يرجع إلى مصر الفرعونية ، ويبين استمرار وحدة الفن المصري في عصوره المختلفة .

وفوق هذا عثر المنقبون على آثار قبطية هي عبارة عن أدوات زراعية كالقأس والشرشرة — ومصر بلاد زراعية — أو أدوات طبية ، كالمرود والسكين والمقبض ، أو أدوات السكيل ، والوزن ، أو أدوات الكتابة ، أو أدوات الطهي ، أو أدوات النسيج ، والكثير منها يرجع في أصله إلى مصر الفرعونية .

ولا داعي للقول بأن كل هذه الأشياء لا تمت إلى الدين المسيحي بأي صلة مما يؤيد الرأي الذي نقول به ، ودو أن الفن القبطي تأثر بمؤثرات دنيوية ( مدنية ) فوق تأثره بالمؤثرات الدينية المعروفة ، فالن في كل عصر وفي كل بلد إنما هو ترجمان للحياة في شتى نواحيها

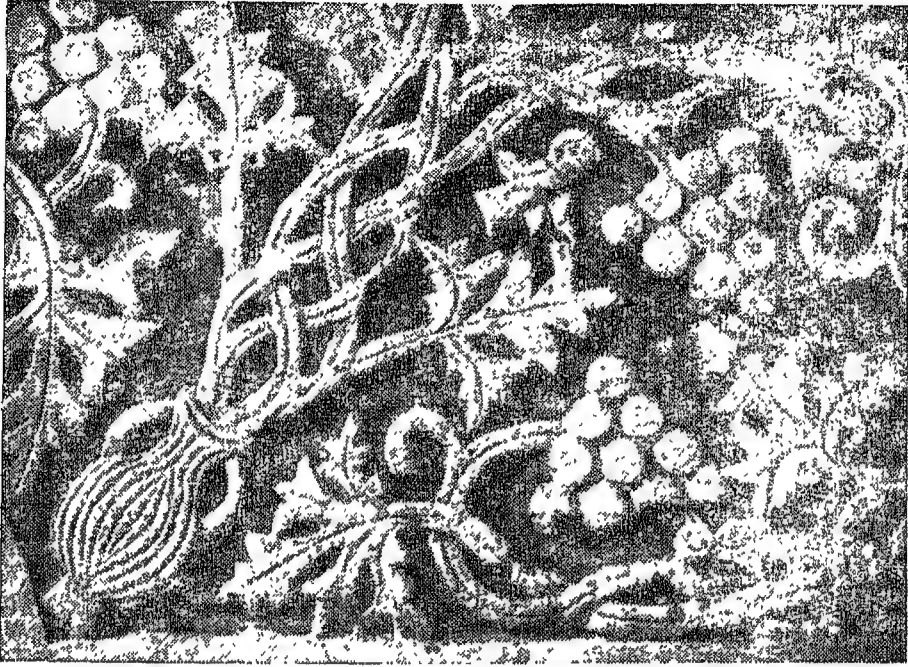
ويرجع كثير من الرسوم الجصية التي كانت تزين بها بعض المباني القبطية في أصاها إلى نقوش فرعونية أو زينة فرعونية ، بل إنها كانت تصنع بنفس الطريقة الفرعونية . وكذلك كان التصوير بالألوان على لوحات المومياة يرجع إلى تطور العادات المصرية الفرعونية .

وهناك كثير من الرسوم التي وجدها العلماء مرسومة على قطع من القهش تعبر في مرماها عن أشياء لا تمت للدين بصلة ما ، رغم أنها رسمت بعد أن أصبحت المسيحية ديناً رسمياً للدولة الامبراطورية الرومانية التي كانت مصر في القرن الرابع الميلادي إحدى أجزائها .

ومما يقطع بصحة رأينا تلك الرسوم الكثيرة التي وجدها العلماء على جدران بعض الكنائس والأديرة التي لا علاقة لها بالدين إطلاقاً ، وإنما هي ترمز إلى صور من الحياة المادية . فمثلاً : ما علاقة عصفور يأكل عنباً ( صورة رقم ١ ) أو صور أشجار وفواكه وأزهار أو صور هندسية بالدين ؟

بل من الطريف أن القبطي لم تفقه روح الدابة والمرح التي ورثها عن أجداده قدماء المصريين ، إذ ضمن رسومه حكماً وأمثلاً كانت متداولة في مصر الفرعونية ، ولا زال بعضها مضرب الأمثال حتى وقتنا الحاضر . مثال ذلك : لعبة القبط والفار المرسومة على جدران أحد مباني باويط .

وإذا ذهبنا مع هؤلاء العلماء مذهباً بعيداً لوجب القول بأن الفن القبطي (الفن البيزنطي في نظرهم) وجد معاصراً للعصر المسيحي بمعنى أنه لم يوجد قبل هذا العصر ما يسمى فنًا قبطيًا .



صورة رقم ١ ( تصوير المتحف القبطي )

ولكن إذا عرفنا أن الفنون التي نمت وازدهرت في أنحاء مصر أثناء الحكم اليوناني الروماني ، أثرت في الفن اليوناني الروماني نفسه ، وقد قلد اليونان والرومان في عمارتهم السكثري من أساليب العمارة الفرعونية وزخرفتها ، وجب أن نخرج بنتيجة وهي أن الفن القبطي وجد قبل ظهور المسيحية بزمان طويل نستطيع تحديده نوعاً بدخول الاسكندر الأكبر مصر حوالي سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ، حتى لا نخلط بين الفن القبطي المصري والفن القبطي الفرعوني كما يجب أن نسميها .

فقد ثبت أنه كان للصريين في العصر السابق للمسيحية فن مجيد ونهضة فنية رائعة رن صداها في كافة الأرجاء ، وتأثرت بها سائر البلدان المجاورة .

ولا يمكننا بحال من الأحوال أن نوافق على رأيي العلماء من أن الفن الذي ظهر في مصر في هذا العصر كان فنًّا يونانيًّا رومانيًّا بحسب ، أو نوافق على رأي الفريق الآخر من أن الفن الهيلينستي وهو المزيج من اليوناني المتأخر ، وفن بعض الشعوب الشرقية كنقارس وسوريا وبابل هو الذي ساد في هذا العصر في مصر .

واننا لا ننكر أن الفن اليوناني لروماني أثر بدوره في الفن القبطي المصري ولكن هذه الظاهرة ظاهرة متأثر الفنون المعاصرة للفن المصري على الفن المصري نجدها في الفن الفرعوني إذ تأثر الفن الفرعوني في عصر الوحدة الثامنة بالفنون الأجنبية المعاصرة له .



٢ — صيد الأسد (التصوير المتحف القبطي)

وهذا لم يخرج الفن المصري عن صفته الفرعونية كذلك الفن القبطي لم يتأثر بالفنون المعاصرة له تأثيراً يجعلنا أن نطلق عليه « بيزنطي » . بل كان يوجد معاصراً للفن القبطي المصري فن يوناني روماني في أرض مصر العظيمة

الحاكمة وجاليتها وهي يونانية ثم رومانية بطبيعة الحال ولا يدعو كل ذلك الى ضم هذا الفن ( أقصد فنهم اليوناني الروماني ) الى الفن القبطي لأن الفن اليوناني الروماني فن قائم بذاته وعلى هذا الأساس لا أضـم كثير من الآثار المعروضة في المتحف القبطي الى الفن القبطي على سبيل المثال الآثار التي عليها قصة ليذا أو شكل القنطور أما الفن القبطي العربي فقد تأثر ببعض التوجيهات التي أتت بها العرب منذ سنة ٦٤١ ميلادية .

والآن وقد سقنا هذه الأمثلة العديدة والأدلة التي بينها نستطيع أن نؤكد بأن الفن القبطي ليس كما يقول العلماء فنًا دينيًا مسيحيًا محضًا ، وإنما هو فن مصري له مؤثراته وأغراضه الدنيوية ، كما أن له أغراضاً ومؤثرات دينية .

ومما يميز قولنا هو تفرع اللغة القبطية الى لهجات منها : اللهجة البحرية ، والصعيدية ، والأخميمية ، والفيومية ، التي تدل دلالة واضحة على التطور الاقليمي للغة المصرية القديمة . ولم تؤثر اللغة اليونانية على القبطية الا من حيث بعض حروف الهجاء وبعض المفردات الدخيلة . وظاهرة دخول كلمات أجنبية في اللغة المصرية القديمة نجدها أيضاً في عصر وحدة مصر الثالثة وهذا لم يخرج اللغة عن صفتها المصرية .



## أدوات زينة المرأة

### في العصر القبطي

ذكرنا أن الفن القبطي قام قبل ظهور المسيحية بزمان طويل نستطيع إلى حد ما تحديده بعصر دخول الاسكندر الأكبر مصر حوالي سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ، حتى لا نخلط بين الفن القبطي المصري . والفن القبطي الفرعوني ، أمّا الفن القبطي العربي فيبدأ بعد دخول العرب مصر .

ومن الخطأ أن يتصور المرء أن المصريين الأقباط لم يحفلوا بالعناية بجمال المرأة . والجمال في المرأة ينقسم الى قسمين أساسيين :  
أولاً — الجمال الحسي وهو جمال الوجه والبدن أو بعبارة أخرى الجمال الجسدي .  
ثانياً — الجمال المعنوي وهو جمال الروح والعقل أو الجمال الروحي وكل منهما يبعث في نفس الرجل الإعجاب والاستحسان ، فالأول طريقه الحواس ، والثاني طريقه الشعور الباطن . وموضوع هذا البحث يتعلق بالقسم الأول وهو الجمال الحسي وكان يرتكز على أربع دعائم أساسية لتكون قوة موحدة كاملة نستطيع أن تمتلك جميع الحواس .

فالدعامة الأولى : هي تزيين الوجه ، وتجميل الشعر .  
والدعامة الثانية : هي تزيين الصدر .  
والدعامة الثالثة : هي أدوات الزينة لليد والأصابع والقدم .  
والدعامة الرابعة : هي استعمال الملابس المزركشة الألوان .  
فالمرأة القبطية بالجمال غرام فكيف كانت تتجمل . وما هي الأشياء التي تزين بها وجهها وبدنها أو ما هي أدوات زينة المرأة في العصر القبطي ؟  
فكرت المرأة القبطية في تزيين وجهها فاستعملت « الأثمد » الكحل لعينيها وغرام

القبليات بالسكحل يدل عليه ذلك العدد الوفير من المسكحل ، فعلى سبيل المثال مكحلة رقم ٥٨٤٣ بالمتحف القبطي وهي على شكل صمود ومجموعة من البرنز أو مكحلة رقم ٥٨٥٤ بالمتحف القبطي وهي على شكل إناء صغير ومجموعة من الزجاج ويرجع تاريخهما الى القرن الرابع الميلادي .

ومع بعد هذا العصر لا زال الى يومنا هذا تستعمل بعض القرويات المصرية هذه المسكحل بعينها .

كذلك استعملت المرأة القبطية الأمشاط ودبابيس الشعر لتجميل الشعر فعلى سبيل المثال مشط رقم ٥٦٦١ بالمتحف القبطي المصنوع من العاج ومنقوش عليه صورة بديعة تمثل حسناء متكئة على سرير تحته كلب وبجانب السرير خادمة تحمل طفلاً ، ولا يمكن لعقل رجيح الحكم بأن هذا المشط وما عليه من نقش يشير إلى شيء من الدين مطلقاً مع أن تاريخه يرجع الى القرن الرابع الميلادي أي بعد المسيحية بما يقرب من أربع قرون . ثم لدينا مشط آخر رقم ٥٦٥٥ بالمتحف القبطي يرجع تاريخه الى القرن الرابع الميلادي ومصنوع من العاج أيضاً ومنقوش عليه رسم يمثل وقوف السيد المسيح على قبر اليعازر ، فهنا الصورة دينية ولكنها وضعت على مشط والمشط ليس من الدين بشيء ، وإنما من أدوات الزينة الدنيوية . ورغم أن هذا المشط وسابقه من أواخر القرن الرابع للميلاد إلا أنهما يشبهان كل الشبه أمشاط عصور مصر الفرعونية ، بل ومشط اليوم المعروف عند العامة « الفلاية » .

وكذلك عثر المنتقبون على أقراط تعلق في الأذن بعضها على شكل مستدير أو بيضاوي إلى غير ذلك من مختلف الأشكال ، ويتبدل من بعضها سلاسل على شكل حبات من الخرز ، وقد وجد منها الأستاذ أحمد فخري في حفائر مصلحة الآثار المصرية جهة الواحات البحرية ، أقراط على شكل عنقود عنب ومؤخرة في القرن الرابع الميلادي ومجموعة من الذهب .

فلم يتخذ بعض العلماء من عنقود العنب في الفن القبطي دليلاً أو برهاناً على المسيحية في الفن ، حقاً قال المسيح « أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرام » وشبه المؤمنين بالأغصان ومارس العشاء المري ( الأنفاسيتيا ) بعصير العنب ، وضرب مثل الكرم والكرامين ولكن معروف أن الله ضرب مثلاً كهذا لشعب إسرائيل قديماً ( سفر أشعياء : الأصحاح ٥ ) فبالله

عليكم قولوا أية علاقة توجد بين قرط تزدان به الأذن وبين المسيحية ، وقد وجد مثل هذا الرمم في أقراط من عهد الفرعنة أي قبل المسيحية بآلاف من السنين ، أليس العنبر كثيراً في بلادنا في العصور الفرعونية والقبطية والعربية والحاضرة ، ومن أبدع الزخارف شكلاً ؟ ونحن إذا مررنا بحجرات المتحف القبطي رقم ١٣ ، ١٥ لوجدنا مجموعات مختلفة من أدوات زينة الصدر كالعقود على أشكال متنوعة ومصنوعة من مختلف المعادن والأحجار ومنها ما يها به عقود مصر الفرعونية من بعض نواحي الشكل .

هذا من جهة الدعامة الأولى والثانية . أما الدعامة الثالثة وهي أدوات الزينة لليد والأصابع والقدم أي الأساور والخواتم والخلائيل إلى غير ذلك فقد وجدت مجموعات متعددة بعضها من ذهب أو فضة ، وغيرها من عاج أو عظم إلى غير ذلك من مختلف الأنواع والأشكال وهي لا تختلف ما يماثلها من آثار العصر الفرعوني وما يماثلها من أدوات زينة العصر الحاضر في شيء يذكر .

والدعامة الأخيرة فكيف ما يلاحظ من زركشة في الملابس المعروضة بالمتحف القبطي وبعض نقوش مرسومة على الصناديق المصنوعة من العاج الملون في حجرة رقم ١٣ بالمتحف القبطي لسيدات أنيقات تمسك إحداهن امرأة في يدها .

أضف إلى تلك الدعامات أوانٍ كثيرة للمواد العطرية موجودة بالمتحف القبطي ويرجع تاريخها إلى القرنين الخامس والسادس . مما تقدم يستنتج أن الزينة الجسدية وأدواتها بأشكالها المختلفة وأنواعها المتعددة هي لمحض الجسد ولا علاقة لها بالدين وفي هذا دليل قاطع على أن الفن القبطي ليس خلوًا من الأثر الديني .





## الفصل الخامس

---

### بحوث أدبية

---

١ — روائع الأدب المصري القديم

٢ — اللغة القبطية

## روائع الادب

### المصري القديم

المصريون من أقدم أمم الأرض عراقة في المجد ورسوخاً في المدنية . فقد استوطنوا وادي النيل قبل ميلاد المسيح بما لا يقل عن ثمانية آلاف سنة تقريباً ، وأقاموا الحضارة العظيمة التي بهرت أنظار العالم القديم وظلت مزدهرة حقبة طويلة من الزمن .

وان آثارها الباقية حتى اليوم من أقدم الخلفات التي تركها الانسان الأول وليس من شك في أن المصري القديم قد صاغ تراثه الفكري في المؤلفات الأدبية بأسلوب جميل لا يدانيه ما ورثه أي شعب آخر من أسلافه .

ومن المؤلفات الأدبية الفرعونية ما يتصل بالآداب الدينية ، ومنها ما يتصل بالآداب الدنيوية . وسأقصر كلامي على دراسة الآداب الدنيوية في عصور وحدة مصر الزاهرة وعلى بعض عصور تفكك الوحدة .

كانت الآداب الدنيوية في عصور وحدة مصر الزاهرة تقوم إما على نوع من الأدب العلمي الذي وصل إلينا في شكل حكم أو أمثال ، وإما على نوع آخر يعرف بالغزل ، وإما على نوع ثالث يعرف بالآداب القصصي .

فمن أنواع الأدب العلمي الذي وصل إلينا كالحكم والأمثال تعاليم الوزير بتاح حتب والوزير كاجني من عصر الوحدة الأولى ، وكتعاليم آني وإمن — إم — أوبي من عصر الوحدة الثالثة . وأما من عصر الوحدة الثانية فلدينا حكم وتعاليم من الملك امنمحات الأول لولي عهده سنوسرت .

وهي كلها تعاليم موجهة للشباب في قالب نصائح إلى أبناء الكتّاب السابق الذكر ، لتقويم أخلاقهم ودعوتهم للفضيلة وعمل الخير وحسن السلوك . وهاك مقتطفات من روائع تلك التعاليم : —

## أولاً — التمسك بالصدق

« إذا كنت قائداً آمراً فاسمع وراء كل كمال حتى لا يكون نقص في طبيعتك فإن الصدق جميل وقيمته خالدة — بتاح حتب »

« إن السكين ترهف لمن يحيد عن الصدق — كاجني »

« قل الحق أمام القاضي — إمن — إم — أوبي »

## ثانياً — أدب السلوك في الضيافة

« إذا هيء لك الجلوس على مائدة من هو أكبر منك مقاماً فخذ ما يقدم لك مما هو أمامك ولا تنظرن إلى ما وضع أمامه ، بل انظر إلى ما وضع أمامك — بتاح حتب »  
« إذا جلست مع أناس كثيرين فانظر إلى الطعام في غير شره أو اهتمام حتى وإن كنت تشهيه، فإن ضبط النفس لا يكلف الإنسان أكثر من لحظة، وأنه لمن العار أن يكون الإنسان شرهاً فقدح ماء يروي الغلة — كاجني »

## ثالثاً — التحذير من النساء

« إذا أردت أن تحتفظ بالصدقة لسيد أو أخ أو صاحب دخلت داره فاحذر الدنوّ من النساء فألف من الرجال ذهبوا ضحيتها — بتاح حتب »  
« هل حدث أن النساء اصطفتن في ميدان الحرب ؟ — امنمحات »  
« خذ حذرك من المرأة الأجنبية تلك التي ليست معروفة في بلدتها ولا تغمزن لها بعينك — آني »

## رابعاً — الحث على الزواج

« هيء لنفسك داراً واحبب زوجتك واجلب لها الطعام واستر ظهرها وقدم لها المعطور وإدب السرور في فلها طية حياتك فهي حقل نافع لزوجها — بتاح حتب »  
« اتخذ لنفسك زوجة وأنت لا تزال شاباً لتنجب لك ولداً ، ويجب أن تنتهجه لك وأنت لا تزال صغير السن . فإما بعد الرجل الكبير النمل ، فإنه يترم بسبب أولاده — آني »

### خامساً — التحري عن أخلاق الأصدقاء

« إذا كنت تبحث عن أخلاق من تريد مصاحبتة فلا تسألنه ولكن اقرب منه وكن معه وامتنع قلبه بالحادثة ، فاذا أفشى شيئاً قد رآه أو أتى أمراً يهلكك تنجّل له فاحذر عندئذ حتى من أن يجيبه — بتاح حتب » .

### سادساً — الولاء للعرش

« إن الولد النجيب يقيم الحق وسيكون الملك مرتاحاً لك في كل ما يجري فقد بلغت العاشرة بعبد المائة وحباني الملك بمكافأة تفوق كل مكافآت الأجداد لأنني أقت العدل للملك — بتاح حتب » .

### سابعاً — سلوك الرئيس نحو مرءوسيه

« خذ الحذر من مرءوسيك ولا تثقن بأخ ولا تصطفين لك خلاناً لأن ذلك لا فائدة منه وعند ما تكون نائماً كن الحارس لنفسك — امنمحات » .

ومما خلفته مصر غير الأدب العلمي الذي يبين مقدار تقدم التفكير البشري في هذه العصور السحيقة وما يقوم به من جهد في الفكر بجانب غزارة المادة العلمية فاننا نجد نوعاً آخر من الأدب يعرف بالغزل وقد رأينا عند الكلام على الموسيقى كيف أن الشاعر يصف في خياله الرائع أنه كان مريضاً وعند ما استدعي الطبيب لعيادته جاءت حبيبته فزجرت الطبيب لأنها أعلم بداء حبيبها ودوائه .

هذا فضلاً عن نوع ثالث من الأدب يعرف بالأدب القصصي يتميز بالوصف والخيال وتصوير البلاد النائية كسوريا وبلاد البنت ( الصومال ) التي قام الكتاب برحلاتهم إليها . وهالك مقتطفات من هذا الأدب على سبيل المثال لا الحصر :

﴿ قصة الفريق ﴾ — يرجع تاريخها الى عصر الوحدة الثانية ، أراد كاتب هذه القصة أن يصوّر البلاد النائية التي كان يرتحل إليها وما فيها من عجائب فيقص انه كان مسافراً على ظهر سفينة إلى بعض الأصقاع الغنية بمعادنها ليؤدي رسالة ملكية ، وحدث أن هبت عاصفة فخطمت السفينة وغرقت بمن فيها ولم ينج إلا كاتب القصة بعد أن لاقى من الأهوال في باديء أمره

ما لاقى حتى حملته الأمواج الى جزيرة فيها من عجائب المخلوقات ثعبان كبير له رأس إنسان . ثم ذكر على لسان ذلك الثعبان أنه أخذ يقص له مجازفة حدثت له وتشبه مجازفة كاتب هذه القصة بعد ان استقبله أحسن استقبال ويقول أن سفينة مصرية مرت بالجزيرة وحملته الى أرض الوطن بخير وسلام .

وبخلاف المظاهر التي امتاز بها الأدب في عصور الوحدة من حكم وأمنال إلى غول وقصص ، نلاحظ أن نجاح سياسة ملوك عصور وحدة مصر ، ووحدة وادي النيل لم يؤثر حسب في حياة البلاد الاقتصادية وزيادة الرخاء ، بل نجد نصوصاً أدبية تتحدث عن ورود الكثير من الخيرات .

ويرجع الفضل في هذا النجاح إلى عناية الملوك بشؤون الدولة وإسناد الوظائف والمرაკز الهامة الى أشخاص يتمتعون بثقتهم إلى جانب كفاءتهم الممتازة . ومنهم من يتحدث فيشير إلى أنه كان صديق الملك فاستطاع أن يقوم بالمهام الموكولة إليه على الوجه الأكمل .

وطبيعي أن تبلغ البلاد أوج مجدها في عهود الوحدة بفضل التفاف الشعب حول ملك الوادي ملك مصر ، وبفضل جيل الموظفين الذي عمل ملوك الوحدة على تنشئته ليلتف حول عرشهم وليكون لهم نصيراً ، فنرى هؤلاء الموظفين حريصين على بث روح الطاعة والمحبة للمليكهم بين ذويهم فيسردون لهم ما أنعم به عليهم فرعون مصر من تقدير ، بل ويشبهون عطفه عليهم بعطف الوالدين ، وأكثر من ذلك فقد شبهوه بالإله على الأرض .

وبينما نرى النصوص الأدبية السالفة الذكر تبين لنا أن قوة الوطن تكون على أتمها حين يلتف شعب الوادي حول عرش ملك مصر ، رمز الوحدة والاتحاد ، والقوة والضمان الأول والأخير لكل مواطن وهو السبيل الى نيل المطالب وبلوغ الآمال ، نرى نصوص عصر تفكك الوحدة تبين لنا أن هناك فوضى عامة امتدت الى كل نواحي الحياة المصرية كما أن نصوصاً أخرى من عصر تفكك الوحدة تبين ضياع هيبة مصر في الاقطار الأخرى فليس أدل على ما كانت تعانيه مصر في عصر تفكك الوحدة الأولى من فوضى من أن الآثار الأدبية التي أنتجها هذا العصر كانت صدى لتلك الفوضى فتحتوي الكثير من الأفكار التي تتمخض عنها طادة الثورات الاجتماعية والسياسية ، ولندكر مثلاً على ذلك نرى منه مناقشة بين رجل كره

الحياة وبين روحه وهي مكتوبة على بردية محفوظة الآن بمتحف برلين. وقد صور فيها كاتبها رجلاً بائساً منقلاً بهموم عصره لم يجد غير روحه يهكوا إليها مصابه ، فأظهر لها رغبته في أن يضع حداً لحياته بأن يحرق نفسه . وقد ألت روحه في أن يخطو هذه الخطوة ولكنها امتنعت عن مرافقته في الانتحار لأنها خشيت أن يسوء مصيرها مع شخص فقير مثله لا قبر يأويه ، ولا خلف يقدمون له القرابين فتكون النتيجة أنها تصبح مهددة بالجوع والبرد والحر ، ولكن بعد محاولات نجح الرجل في النهاية وأقنع روحه بالاندماج معه عند الموت ثم أحرق نفسه ومات .

وهناك نصوص وصلت إلينا في أناشيد شعرية <sup>(١)</sup> منها : —

« الى من أتكلم اليوم ، الاخوان شرٌّ وأصدقاء اليوم ليسوا محبين  
« الى من أتكلم اليوم ، الناس يسرقون وكل انسان يغتصب متاع غيره  
« الى من أتكلم اليوم ، اني متقل بالهموم وفي حاجة إلى صديق وفي  
« إلى من أتكلم ، الرذيلة تضرب الارض وليس لها نهاية »

وهناك نصوص معروفة بأفاني العواد منها : —

« امض اليوم في سعادة وحبور ، وانظر فلا أحد يستطيع أن يأخذ متاعه معه ، وانظر  
فليس من يستطيع العودة للحياة ثانية » .

فهذه الجملة الصغيرة تدلنا على ما تطرّق الى المصريين من الشك في تقاليدهم وعقائدهم وحتى في عقيدة الخلود ، كما تدلنا على اتجاه المصري الى التمتع بالحياة المادية .

فبينما كانت النصوص السابقة تبين لنا الفوضى التي امتدت الى كل نواحي الحياة المصرية في عصر تفكك الوحدة الأولى ، نجد أن قصة ونّامون تبين ضياع هيبة مصر في الأفطار الأخرى في عصر تفكك الوحدة الثالثة بعد أن كانت مصر متمتعة بسلطان واسع في عصور الوحدة بين أمم الشرق القديم .

(١) يتناثر الشعر بأوزان خاصة .

## اللغة القبطية

### نشأتها وتطورها



قبل أن نتحدث عن اللغة القبطية — نشأتها وتطورها — يجدر بنا أن نعرض لهذا اللفظ ومدلوله وأصله واستيفاه لأن البحث عن أصل الكلمة يعميط اللثام عن معالم كثيرة تثير الطريق للباحث وتبعده عن الوقوع في الخطأ . فلفظ ( قبطي ) نسبة إلى ( قبط ) ، وهنا نرى ياء النسبة العربية . أما كلمة ( قبط ) فهي تحريف للفظ اليوناني والروماني الذي أطلقه اليونانيون والرومانيون من بعدهم على مصر والمصريين بعد حذف السابق ( أي ) واللاحق ( وس ) وبقيت كلمة — قبط — بالجيم المعطوفة التي تنطق عادة ( ق ) ، لذلك كتبت الكلمة بها أي ( قبط ) بمعنى مصري . ولا شك في أن يونانية هذا اللفظ الخاص بمصر وشعبها لدلالة قوية على العلاقات القديمة التي كانت قائمة بين مصر واليونان ، فالتاريخ يحددنا ، والأثار تؤيده ، على أن العلاقات اليونانية المصرية بدأت في أوائل الدولة الحديثة أي في عصر الوحدة الثالثة ( ١٥٨٠ — ١٠٨٥ ) ق . م . وذلك أن بعض الفراعنة استعان بالجنود اليونانيين المرتزقين في بعض حروبهم .

وأخذت هذه الصلة تنمو تدريجيًا حتى إننا نجد لها تجارية في العصر الذي سبق حكم الفرس لمصر . وبعد دخول قبيلز جاهل الفرس البلاد نزع كثير من التجار اليونانيين وتبعهم عدد عظيم من علماء اليونان ومفكرهم الذين عنوا بدراسة تاريخ مصر وآثارها ودينها وأخلاق أهلها ، نذكر منهم هيرودوت المؤرخ وأفلاطون الفيلسوف وهوميروس الشاعر وارفوريوس الموسيقي وغيرهم . وهكذا أصبحت مصر كعبة القصاد من بلاد اليونان المختلفة من تجار وعلماء وجنود حتى أن ( بسايتيك الأول ) مؤسس الأسرة السادسة والعشرين وأول ملك من ملوك عصر الوحدة الرابعة منع الجالية اليونانية جزاء المساعدة التي قدمها له جنود

اليونان بعض الاجزاء من البلاد لتكون خاصة بهم وبأسراتهم من بعدهم، كالحيي الخاص باليونانيين في بلدة منف وفي بلدة دفنة . ثم في عصر الملك أحمر الثاني خصصت لهم مدينة (نوقراتيس) وموقعها الحالي بالقرب من صفط الملوك .

لذلك لا نعجب أن نرى بعد ذلك شعب مصر يرحب بقدوم الاسكندر ويرسم كنهه آمون له ابناً لكبير آلهتهم آمون ومنحه سائر الألقاب الفرعونية الخمسة . توفي الاسكندر وورثه البطالمة فأخذت الصلة بين مصر واليونان تقوى حتى صارت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية الى جانب القبطية .

وقد بقيت كذلك حتى دخول العرب مصر وتعدت العلاقات الثقافية الى السياحة إذ أصبحت مصر تحت حكم اليونان مدة طويلة ( ٣٣٢ ق . م . الى ٣٠ ق . م . ) . وكانت هذه المدة الطويلة كافية لتوثيق العلاقات بين الشعبين المصري واليوناني ، وكافية أيضاً لأن يلمس المصريون الفرق بين الكتابتين اليونانية والمصرية القديمة متمثلة في الهيروغليفية والهيروغليفية والديموطيقية ، فبينما الكتابة اليونانية ، وإن كانت من أصل مصري ، تتطور وتصبح أكثر ملاءمة للحياة في ذلك الوقت ، إذ بالمصرية تبقى محافظة على صورها وأشكالها القديمة المختلفة . لذلك شعر المصريون بالحاجة القصوى الى وجوب العدول عن الكتابة المصرية القديمة الى الأبجدية اليونانية التي كان المصريون قد أخذوا في استعمالها بخاصة في كتابة أسماء الأعلام . ثم قاد هذه الحركة فيما بعد العالم الاسكندري ( بونثينوس ) وتلاميذه المصريون حوالي أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني للميلاد . فقد نقحوا الاملاء القبطي وكتبوا اللغة في الأبجدية اليونانية البالغ عدد حروفها أربعة وعشرين ، وأضافوا اليها سبعة حروف وهي ( شاي وفاي وخاي وهوري وجنجا وكشجاوتي ) أخذت من الديموطيقية لعدم وجود أصواتها في اليونانية . ثم أضافوا حرفاً آخر وهو ( صو ) الذي يستعمل للدلالة على العدد « ٦ » كما هو الحال في اليونانية . ومن حسن الحظ أن حفظ لنا التاريخ بعض الكتابات القبطية القديمة التي ترجع الى العهد الذي لم يكن قد اعترف فيه بعد بالمسيحية ديناً رسمياً للدولة بالرغم من دخول المسيحية البلاد أيام حكم نيرون على يد القديس بارس عام ٥٤ م .



ومن أشهر هذه الكتابات البردية التي طبعها العلامة ( جريفث ) (١) والنص المحفوظ  
بمتحف اللوفر ونشره ( ارمان ) (٢) فهذان النصان يعالجان أموراً تتصل بالسحر والفلك لا  
علاقة لها بالمسيحية بتاتاً . ففي البردية الأولى نجد ذكراً لنجم السعد ، وآخر لنجم النجس ، كما  
يوجد في النصين دلائل إلى أوزيريس إله الموتى ، وأنوبيس إله العجبانة وورع وايزيس . وغير  
هذه الكتابات عثر في اخميم على بطاقات للمومياء يرجع تاريخها إلى القرن الثاني الميلادي  
وبعضها مؤرخ بالعام الرابع من حكم الامبراطور هدریان وقد نشرها ( شتيندورف ) (٣) .  
وكما تقدم بنا العهد نجد المسيحية تثبت في مصر فتنهزم أمامها الوثنية ويضطر الامبراطور  
قسطنطين إلى الاعتراف بها ديناً رسمياً له وللدولة حوالي عام ٣٢٥ م . وحوّل خلفه بعض  
المعابد المصرية القديمة إلى كنائس ، كما أغلق الباقي منها . ثم جاء الامبراطور ( جوستينيان )  
فأرسل قائده ( نرسيس ) إلى جزيرة القيلة حيث قضى على البقية الباقية من عبادة ايزيس  
وأوزوريس . وهكذا ترى المسيحية تعزز بعد أن قدمت من ابنائها الشهداء الكثيرين  
أيام حكم ( دوفلسيان ) حوالي عام ٢٨٤ م . فأصبحت مصر بعد ذلك معقلاً للمسيحية  
ووطناً للديورة والرهبة ، واستطاع الاقباط أن يخلقوا فنّاً قبطياً متأثراً باليوناني حيناً  
وبالفرعوني حيناً آخر .



أما اللغة القبطية وآدابها فقد استمرت حيّة حتى القرن العاشر الميلادي بدليل أننا نجد  
الأسقف ساويرس بن المقفع يقول ما معناه إن القلم العربي عرف عند أهل الديار المصرية كما  
اننا نعرف من جهة أخرى أن كثيراً من العرب عرفوا اللغة القبطية حتى نجد في أوائل  
الحكم العربي لغة الدواوين القبطية أو اليونانية . وظلّت اللغة القبطية اللغة الرسمية لمصر حتى

(١) F. L. L. Griffith, The old Coptic Horoscope of the Stobar Collection, Aeg. Z. 38, pp. 71—85

(٢) A. Eiman, Die aeg. Beschwörungen des grossen Pariser Zauberpapyrus, Aeg. Z. 1883, p. 89

(٣) Steindorff, Aeg. Z. 1890. p. 49 : Die Mumien . Etiketten

عهد عبد الله أخ الوليد بن عبد الملك بن مروان . الذي أحلّ العربية محلها سنة ٧١٤ م . ولما كانت سنة ٩٩٧ م قام الحاكم بأمر الله بن عبد العزيز أحد ملوك الفاطميين وأمر بإبطالها لغة حية . واللغة القبطية كغيرها من اللغات تنقسم الى لهجات . وقد ظهر ذلك جلياً عند استخدام الأبجدية اليونانية لاستخدام الحروف الصائتة الى جانب الصامتة ( المتحركة والصامتة ) بخلاف الجاري في اللغات السامية التي تكتفي بالحروف الصامتة فقط . ونحن نستطيع أن نفرق بين خمس لهجات في القبطية ولا نستطيع أن نحزم بوجود أكثر من لهجتين في العصر الفرعوني . وأشهر اللهجات القبطية هي :

أولاً — البحيرية التي كانت أصلاً لهجة الاسكندرية عاصمة مصر الرسمية ، أيام اليونان والرومان ، وما جاورها في الوجه البحري . وما زاد في انتشار هذه اللهجة انتقال بطارقة الاسكندرية الى ( بابلون ) أي القسطنطينية أو مصر القديمة ، ثم الى القاهرة واستخدامهم اللهجة البحرية كلغة رسمية للكنيسة . وما تزال هذه اللهجة مستعملة الى اليوم فقط في العبادات في الكنائس الأرثوذكسية وبين قليل من الأُمَر ، ويلاحظ أنها أكثر اللهجات تأثراً بالمفردات اليونانية قربها من مواطن الثقافة اليونانية .

وانما لا ننكر ان هناك بعض كلمات دخيلة يونانية في اللغة القبطية ولكن هذه الظاهرة ظاهرة دخول كلمات أجنبية في اللغة المصرية القديمة نجدتها في عصر وحدة مصر الثالثة . فبعد غزوة الهيكسوس لمصر دخلت كلمات كنعانية كثيرة في اللغة المصرية القديمة وهذا لم يخرج اللغة عن صفتها المصرية .

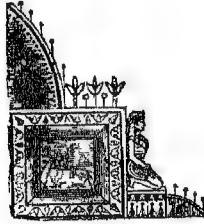
ثانياً — اللهجة الصعيدية وهي لغة أهل طيبة ( الأقصر ) ومعظم سكان الصعيد الأعلى  
ثالثاً — اللهجة الأخميمية وهي خاصة بأهل أخميم وأقرب اللهجات الى المصرية القديمة وأبعدها تأثراً بمفردات اللغة اليونانية . وذلك لبعدها عن الاوساط الأجنبية .  
رابعاً — اللهجة الفيومية وهي لغة سكان الفيوم وما جاورها من البلدان .

\*\*\*

هذه نظرة عاجلة عرضت فيها لغة القبطية نشأتها وتطورها كما بينت أن لفظ « قبطي » هو اسمٌ يطلق على أبناء مصر مسيحيها ومسلميها .

ونذكر هنا حقيقة يحفلها بعض العلماء إذ يظنون أن آداب اللغة القبطية دينية محضة .  
والواقع غير ذلك ، فهي الى جانب ما حفلت به هذه الآداب من صير القديسين والبطاركة  
والأناجيل لم تقف عند الجانب الديني لحسب بل تناولت الجانب الدنيوي .  
فهناك نصوص تتعلق بالتاريخ وبالتقانون كعقود البيع أو الميراث وبالرسائل والصلوات  
وما يختص منها بالضرائب أو التجارة ، كما ان هناك نصوصاً دنيوية أخرى تتصل بالفلك  
والسحر والطب (١)

وهنا أرى أن من العوالم تسمية اللغة القبطية باللغة المصرية القديمة في آخر مرحلة من  
مراحل تطورها وإن كانت مكتوبة بالخط القبطي الذي هو مزيج من الأبجدية اليونانية  
والديموتية ، فأما ما مثل في العصر الحديث هو أن اللغة التركية في حالتها الأولى وهي  
كتابتها بالحروف العربية ، والثانية وهي كتابتها بالحروف اللاتينية لم يمنع ذلك من إطلاق  
اسم التركية عليها .



(١) نجد أيضاً أصول اللغة القبطية متشعبة من المصر الفرعوني فئات من المفردات القبطية التي يستعملها  
المصري في التعبير عن حاجة الفرد في حياته اليومية من أكل وملبس ومشرب وما الى ذلك من مرافق  
الحياة في الزراعة وغيرها ترجع أصولها الى اللغة الفرعونية المصرية ، كما ان أصول نحو اللغة القبطية كأدوات  
التذكير والتأنيث والضمائر ترجع الى نحو وأجرومية اللغة المصرية الفرعونية

## الفهرست

صفحة	
٣	المقدمة
٥	الفصل الأول — بحوث تاريخية
١١ — ٧	١ — تطور التاريخ المصري القديم
٢٢ — ١٢	٢ — وحدة وادي النيل
	٣ — أم أعلام وحدة وادي النيل
٢٨ — ٢٣	« ا » الملك نب — حبت — رع
٣٣ — ٢٩	« ب » الملك امنمحات الأول
٣٥ — ٣٤	« ح » الملك احس الأول
٣٧ — ٣٦	« د » الملك رمسيس الثاني
٤٠ — ٣٨	٤ — الحروب بين ملوك الشمال والجنوب
	٥ — الهيكسوس
٤٥ — ٤١	« ا » أصلهم وموطنهم الأول
٥٠ — ٤٥	« ب » فاصلة ملكهم ومدة حكمهم
٥٣ — ٥٠	« ح » مدى توغل الهيكسوس في مصر
٥٨ — ٥٣	« د » مطاردة الهيكسوس من مصر
٦٥ — ٥٩	٦ — الملك اينخ — ان — آتون
٦٨ — ٦٦	٧ — منصب الوزير
٧٠ — ٦٩	٨ — حاكم السودان العام
٧٢ — ٧١	٩ — كتاب هيرودوت في مصر

صفحة	
٧٣	الفصل الثاني — بحوث اجتماعية
٧٦ — ٧٥	١ — عيد الجلوس الملكي
٧٩ — ٧٧	٢ — ما أسدته مصر القديمة للعالم الحديث
٨٢ — ٨٠	٣ — الطب عند قدماء المصريين
٨٥ — ٨٣	٤ — الموسيقى عند قدماء المصريين
٨٧ — ٨٦	٥ — النسيج عند قدماء المصريين
٩٢ — ٨٨	٦ — مركز المرأة في مصر القديمة ومقامها من الوجهة السياسية
٩٣	الفصل الثالث — بحوث قانونية
٩٩ — ٩٥	١ — مجموعة قوانين مصرية — قانون الملك حور محب
١٠٠	٢ — القانون الجنائي عند الفراعنة
١٠٥	٣ — دور العدالة
١٠٥	١ — المحاكم الوطنية
١٠٧	ب — المحاكم المختلطة
١٠٩	الفصل الرابع — بحوث أثرية
١١١	١ — منارة الاسكندرية
١١٣	٢ — مرابيوم الاسكندرية
١١٥	٣ — مصر العتيقة والحصن الروماني
١٢١	٤ — الآثار الدنيوي في الفن القبطي
١٢٧	٥ — أدوات زينة المرأة في العصر القبطي
١٣٠	الفصل الخامس — بحوث أدبية
١٣١	١ — روائع الأدب المصري القديم
١٣٦	٢ — اللغة القبطية
١٤٣	أم المراجع العربية
١٤٣	أم المراجع الأجنبية

— ١٤٣ —

## أهم المراجع العربية

- |   |                             |
|---|-----------------------------|
| — بدءا عصر البطالمة — ١٩٣٨  | امام عيل مظهر               |
| — قاموس اللغة القبطية   | افلاديوس بك لميب            |
| — مجلة عين شمس  | » »                         |
| — مصر القديمة ١٩٤٠  | سلم بك حسن                  |
| — الأدب المصري القديم ١٩٤٥  | » »                         |
| — الاسكندرية (مجلة كلية الآداب بجامعة فاروق الأول سنة ١٩٤٥ صحيفة ١١٨ وما بعدها) | زكي علي                     |
| — كتاب تاريخ مصر (ترجمة لكتاب جيمس هنري برونستد)                                | الدكتور حسن كمال            |
| — دليل المتحف المصري — ١٩٣٥   | محمود بك حمزه               |
| — دليل معرض الآثار القبطية ١٩٤٤   | مريت بك فالي                |
| — دليل المتحف القبطي  | مرقس باشا مممكه             |
| — القانون الروماني سنة ١٩٤٧   | الدكتور محمد عبد المنعم بدر |
| — على هامش التاريخ المصري القديم سنة ١٩٤٠                                       | عبد القادر باشا حمزه        |
| — تاريخ الطب والصيدلة — ١٩٣٩  | عبد العزيز عبد الرحمن       |
| — تاريخ مصر في عصر البطالمة ١٩٤٦  | دكتور نصحي ابراهيم          |

## أهم المراجع الاجنبية

- Agyptisches Wörterbuch  
 Agyptische Inschriften aus den königlichen Museen zu Berlin  
 A. Z. — Zeitschrift für ägyptische Sprache und Altertumskunde, herausgegebene von G. Steindorff und W. Wolf, bis 1939  
 Annales du Service des Antiquités de l'Egypte  
 Anthès, R., Ein bisher unbekanntes Exemplar der Dienstordnung des Wesieres in Mélanges Maspero I S. 155  
 Breasted, J. H. A History of Egypt, New York 1908 (Übersetzt von H. Ranke "Geschichte Agyptens, 1937)  
 Ancient Records of Egypt, 5 Bde. Chicago 1927 (abgekürzt) Anc. Rec.

- Bonnet, H., Die Waffen des alten Orients, Leipzig 1926.  
 Brioton, Et. et., J. Vandier, Les Peuples de l'Orient Méditerranéen  
 Griffith, The Abydos Decree of Seti I at Nauri  
 Gauthier, Les Nomes d'Égypte, Nem. Inst. 25  
 Hanotaux, Hist. de la Nation Égyptienne  
 Kuentz, Ch. La Bataille de Qadech  
 Legrain, G. Au Pylone d'Ainhabî à Karnak Recherches Généalogiques, in Rec. 31, 201  
 Lepsius, R. Denkmäler aus Äg. u. Äthiopien (abgek. L. D.)  
 Lefebvre, G. Inscriptions concernant les Grands Prêtres d'Amon Rome-roy et Amenhotep  
 Histoire des Grands Prêtres d'Amon de Karnak  
 Linke, A. Correspondenzen aus der Zeit d. Ramessiden.  
 Mariette, A., Monuments Divers  
 Maspero, Histoire  
 Moret Histoire de l'Égypte Pharaonique  
 الجزء الثاني من مجموعة Hanotaux التي طبعت تحت رعاية المغفور له جلالة الملك فؤاد الاول  
 Meyer, Ed. Geschichte  
 Müller, Max, Der Bündnisvertrag Ramses II  
 Newberry, The Life of Rekhmara  
 Naville u. Hall, The XI. Dyn. Temple at Deir-et-Bahary  
 Otto, W., Priester und Tempel in Hellenistischen Ägypten  
 Batou, D., Early Egyptian Record of Travel  
 Scharff, A., (1) Ein Denkstein des Vezirs Rahotep  
 (2) Haremhab, in Brunton, Great ones  
 (3) Ein Rechnungsbuch d. königl. Hofes  
 (4) Handbuch der Archäologie  
 (5) Ägyptologische Forschungen  
 Seidl, E., Rechtsgeschichte, Übersetzungen und Abhandlungen zum vorptolemäischen Rechte Ägyptens in Kritische Vierteljahresschrift für Gesetzgebung und Rechtswiss.  
 Sethe, K., Der angebliche Bericht im Haremhab's Verheiratung in seiner Thronbesteigunginschrift, in Äg. Z. 44 S. 35  
 Die angebliche Rebellion des Hohenpriesters Amenhotep unter Ramse IX.  
 Untersuchungen z. Geschichte u. Altertumskunde Ägyptens  
 Die Prinzenliste von Medinet Habu  
 Sethos I. and die Erneuerung d. Hundsterr periode in Äg. Z 66 S. 1  
 Der Denkstein mit dem Datum des Jahres 400 der Ära von Tanis  
 Urkunden der 18. Dynastie  
 Die Berufung eines Hohenpriesters des Amon unter Ramses II. i. Äg. Z. 44, S. 30  
 Einsetzung des Vezirs  
 Zaki y. Saad, Royal Excavations at Saqqara and Helwan 1947



